سلسلة الفتوحات العزمية

(٢٦)

مـــوحـــدون لا قبـوريـون

الجزء الثالث

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٧هـــ - يناير ٢٠٠٧م

عنوان الكتاب	موحدون لا قبوريون
المــــــؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشـــــــــر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب- السيدة زينب
رقـــم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقـــم الإيداع	٢٠٠٦/١٨٦٠٤م
الترقيم الدولى	٩٧٧-٥٢٧٣-٧٣-٥

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

الافتتاحية

خطر الوهابية على الأمة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، لم يخف عنا شيئا من دينه، ولم يترك شيئا رضيه أو كرهه إلا وجعل لـــه علمـــاً بادياً، وآية محكمة تزجر عنه أو تدعو إليه.. قد كفاكم مؤونة دنياكم، وحثكم على الشكر، وافتـــرض مـــن ألسنتكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى، وجعلهـــا منتهـــى رضاه من خلقه،، واعلموا أنه من يتق الله يجعل لـــه مخرجاً من الفتن، ونوراً من الظلـــم، ويخلـــده فيمـــا اشتهت نفسه، وينزله منزل الكرامة عنـــده، فـــى دار اصطنعها لنفسه، ظلها عرشـــه، ونورهـــا بهجتـــه، وزوَّراها ملائكته، ورفقاؤها رسله.. فبادروا المعـــاد، وسابقوا الآجال، فإن الناس يوشك أن ينقطـــع بهـــم الأمل، ويرهقهم الأجل، ويسد عنهم باب التوبة.

والصلاة والسلام على ممد لطائف القلوب بأسرار الغيوب، ومشرق الفتاح لـــلأرواح، وســـور الحفـــظ للأشباح، مدينة مجلى ذاتك الأحدية، وروض تجلـــى

معانى أسمائك وصفاتك الربانية.. سيدنا ومولانا محمد.

اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله، صلاة تشهد بها أرواحنا مكانته الأحمدية، وسرنا أنواره المحمدية، وبصائرنا مقام رسالته، وأبصارنا ظل هيكله، حتى تطمئن القلوب بحق اتباعه ﷺ وآله، وتنشرح الصدور بفهم أحواله ﷺ وآله، وجملنا يا إلهنا بحقيقة الاتباع لهديه ﷺ وآله، والتمسك بسنته ﷺ وآله.. وأعذنا يا إلهنا من البدعة المضلة التى تخرجنا عن أن نكون مسلمين، وعن الهوى القاطع الذى يخرجنا عن حظائر مشاهداته، وعن الحظ الحاجب لنا عن شهود أنواره.. آمين يا رب العالمين.

أما بعد:

بينا فى الجزء الأول والجزء الثانى من كتاب (موحدون لا قبوريون) أن أكبر الذرائع التى كفَّر الوهابيون الأمة بسببها هى زعمهم أن المسلمين قد عادوا إلى الشرك والوثنية بعبادة القبور، وهم يجمعون على تسمية مخالفيهم بالقبوريين، وقد وجدنا

أن شبهاتهم تنحصر فى عشر شبهات، قمنا بتفنيد شبهتين فى الجزء الأول من هذا الكتاب، وهما:

١- جواز بناء روضات الأولياء.

٢- وجواز بناء المساجد على المراقد.

وقمنا بتفنيد أربع شبهات فى الجزء الثانى، وهى:

١- مشروعية زيارة روضات الأنبياء والأولياء.

٢- مشروعية التوسل بالأنبياء والأولياء.

٣- مشروعية الحلف بحق الأنبياء والأولياء.

٤- النذر للصالحين والصلاة بمساجدهم.

وفى هذا الجزء (الثالث) سنقوم- بعون الله وتوفيقه- بتفنيد أربع شبهات أخرى، هى:

١- مشروعية الموالد.

٢- طلب المدد من الصالحين.

٣- التبرك والاستشفاء بالصالحين.

٤- اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها، ونبذ اليهود- بأسماء إسلامية- المفرقين من بينها، ومعاملتهم بما يليق من

معاملة الأعداء .. حتى نستعيد مجد سلفنا الــصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنـــا، ويهـــدى ضـــالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الفصل السابع

مشروعية الموالد

لعل تجديد الذكرى بالمواليد والوفيات، والجــرى على مراسم النهضات الدينيـــة أو الـــشعبية العامـــة، والحوادث العالمية الاجتماعية، وما يقع من الطوارق المهمة فى المكان والزمان، واتخاذ تلــك المناســبات أعياداً وأفراحاً أو مآتماً وأحزاناً، وإقامة الحفل السار أو التأبين من الشعائر المطردة، والعادات الجارية منذ القدم، دعمتها الطبيعة البــشرية، وأســستها الفكــرة الصالحة لدى الأمم الغابرة، عند كل ملة ونحلة قبــل الجاهلية وبعدها.. وهلم جرا حتى اليوم.

هذه هى مراسم اليهود والنصارى والعرب، فـــى أمسها ويومها، وفى الإسلام وقبله، سجلها التاريخ فى صفحاته، وكأن هذه السنة نزعة إنسانية، نبعت مـــن عوامل الحب والعاطفة، وتسقى من منـــابع الحيـــاة، وتتفرع على أصول التبجيـــل والتجليـــل والتقـــدير والإعجاب، لرجال الدين والدنيا، أفذاذ الملأ وعظماء

الأمة، إحياء لذكراهم، وتخليداً لاسمهم، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية، ودروس أخلاقية صافية راقية، لمستقبل الأجيال، وعظات وعبر، ودستور عملى صالح للناشئة الجديدة، وتجارب واختبارات تولد حنكة الشعب، ولا تخص جيلاً دون جيل، ولا فئة دون فئة أخرى.

ومن ثم فإن إحياء الذكريات الإسلامية واجب على علماء الأمة الإسلامية، من أجل تذكير الشباب المسلم خاصة، وجميع المسلمين عامة بالمواقف الرائعة للرسول ﷺ وأهل بيته وأصحابه خلال الهجرة النبوية، والإسراء والمعراج، وغزوة بدر، وغزوات أحد والخندق، والقادسية وأمثالها، وإن هذا التذكير مبدأ تربوى قرآنى ركز عليه القرآن ظاهراً حيث لا يخفى على القارئ المسلم لآيات القرآن الكريم.

فيقول عز وجل: ﴿تِلْكَ القُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾ (الأعراف: ١٠١). ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْك﴾ (الرعد: ٣٨). ويقول جل ذكره: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾ (يوسف: ٣). ويقول جل جلاله:

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦).

ومعلوم أن القرآن ما بين ذكر وتذكرة وذكرى:

فالقرآن ذكر: نعبد الله به، ونتقرب إليه به، ونتشرف بتلاوته.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧).

والقرآن تذكرة: فهو تنبيه وإخبار لما حدث فيمن سبق من الأمم لنتعظ ونعتبر به.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجَارِيَةِ*لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١١).

والقرآن ذكرى: فهو تلاوة وترديد ذكر الأنبياء والمرسلين والصالحين لإحياء ذكراهم، لأنه إحياء للقلوب وتكريم لهم وتشريف.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى*أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ (عبس: ٣-٤).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى* سَيَذَّكَّرُ مَن

يَخْشَى﴾(الأعلى: ٩-١٠)..

وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ المُؤْمِنِينَ﴾(الذاريات: ٥٥).

وعلى هذا فإحياء ذكرى الصالحين، واجب بأمر من الله تعالى، وهذا شاهد من كلام الله في الأمر بالذكر الحسن وإحياء الذكرى وتخليدها.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً﴾ (مريم: ١٦).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ﴾ (مريم: ٤١).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ﴾ (مريم: ٥١).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ﴾(مريم: ٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ﴾(مريم: ٥٦).

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الأَخْيَارِ﴾(ص: ٤٥- ٤٧).

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾(ص: ٤٨-٤٩).

وبالرجوع إلى آراء السادة المفسرين نجد أن هذه الآيات بصيغة الأمر من الله بذكر هؤلاء الأنبياء والصالحين كلما تلى كلام الله إلى يوم الدين، وهذا ولاشك تخليداً وإحياء لذكراهم، وأى تخليد أعظم وأجل من هذا، وإذا ما علمنا أنه أمر من الله يتحقق بالاقتداء بهم تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠). يؤكد ذلك ما ورد عن المفسرين بقوله تعالى: ﴿هذا ذكر﴾ (ص: ٤٩). قال الإمام القرطبى: معناه "هذا ذكر جميل فى الدنيا وشرف يذكرون به فى الدنيا أبدا". وقال الإمام النسفى: معناه "أى هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا". وفى معنى قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أى: مرجع، يعنى يذكرون فى الدنيا بالجميل ويرجعون فى الآخرة إلى مغفرة رب جليل".

وفى معنى ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾

قيل: ﴿ذكرى الدار﴾ الثناء الجميل فى الدار، وهـذا شئ قد أخلصهم به فليس يذكر غيرهم فى الدنيا بمثل ما يذكرون به، يقويه قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً﴾ (مريم: ٥٠). ومعناه: أى جميع الملل يثنون عليهم.

إذن فالقرآن الكريم يضع أصلاً بارزاً من أصـول التربية الدينية والاجتماعية والسياسية، بهذا المـنهج التذكيرى.. ذلك أن الإنسان- والأمة أيـضاً- الكـل معرض للنسيان والسهو والغفلة، فلابد من تذكيره بما فيه خيره ومصلحته.

ولقد تأمل أئمة الإسلام- عدا (ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب)- هذه الآيات وغيرها، فاستنوا سنة إحياء موالد الأنبياء والأولياء، مبينين للناس مـآثرهم وما كانوا عليه من خلق وجهاد، وصبر وعزم، حتى يجد المسلم المعاصر فى حياة من مضى مـن أهـل الفضل عبرة، ويكون له فيهم أسوة، فيطمـئن قلبـه، ويثبت فؤاده، ويزداد هديه.

رغم كل هذا البيان الواضح من القرآن بمداومـة ذكر سير الصالحين، يسوء (ابن تيمية وابن القيم وابن

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

عبد الوهاب) تعظيم الرسول ﷺ خاصة وكافة الأنبياء والأولياء عامة، وتخليد ذكرياتهم، وإحياء مناسـبات مواليدهم أو وفياتهم، ويعتبرون اجتماع النـاس فـى المجالس المقصودة لهذا الشأن شركاً وضلالاً فى هذا الصدد، ويستدلون على ذلك بحجج واهية:

شبهات الوهابية حول الموالد:

أولها: إن الذكريات التى ملأت البلاد الإسـلامية باسم الأنبياء وأهل البيت والأولياء من نوع العبـادة لهم، لأن فيها تعظيمهم، وتعظيمهم عنـدهم شـرك، ولأجل ذلك يجعلون اجتماع الناس على سماع قراءة ما تيسر من القرآن، وقراءة الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبى ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات، وقراءة شمائله الكريمة تعظيما لقـدره ﷺ وإظهـار الفـرح والاستبشار بمولده، ثم مـد الطعـام لهـم يـأكلون ويشربون، وبعد ذلك ينصرفون، يرون هـذا العمـل منكراً عظيماً تجب عليهم إزالته باليد، فـإذا سـمعوا بإنسان عمل مولداً قبضوا عليه وعلى الحاضرين معه إلى أجل غير مسمى وفقا لقانون الطوارئ الوهابى.

ثانيها: إن عمل الموالد وإحياء الذكريات الإسلامية لم يؤثر عن الرسول ﷺ، وكل أمر لم يحدث في عهده فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار، ولم يفعلها من بعده ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم فهى بدعة سيئة محرم فعلها، ويجب الإنكار عليها.

ثالثها: يزعم الوهابية أن فى الاحتفالات بالموالد بعض المنكرات كاختلاط النساء بالرجال والرقص والغناء.. وغير ذلك من البدع والمنكرات.

وللرد على شبهات وأباطيل إحياء ذكرى الصالحين نقول:

أولاً: إن الوهابية لم يعينوا حداً للتوحيد والشرك، وللعبادة على الأخص، ولذلك رموا كل عمل بالشرك، حتى أنهم تصوروا أن كل نوع من التعظيم عبادة وشركاً.

ولأجل ذلك جعلوا العبادة إلى جانب التعظيم، وتصوروا أن اللفظين معنى واحداً، ومما لاشك فيه أن القرآن يعظم فريقاً من الأنبياء والأولياء بعبارات صريحة، كما يقول فى شأن زكريا ويحيى عليهما

السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونُ في الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٠).

فلو أن أحداً أقام مجلساً عند روضات من عناهم الله وسمَّاهم فى هذه الآية، وقرأ فى ذلك المجلس هذه الآية المادحة، معظماً بذلك شأنهم، فهل اتبع غير القرآن؟. كما يقول فى شأن أهل بيت النبى ﷺ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (الإنسان: ٨). فهل ترى لو اجتمع جماعة فى يوم ميلاد سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أحد الآل وقالوا: إن علياً يطعم الطعام للمسكين واليتيم والأسير، كانوا مشركين؟.

أو ترى لماذا يكون شركاً لو أن أحداً تلا الآيات المادحة لرسول الله ﷺ وآله فى حفلة عامة فى يوم مولده الشريف ﷺ كالآيات الآتية:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤). ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾(الأحزاب: ٤٥-٤٦). ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨). ﴿إِنَّ

اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (الأحزاب: ٥٦).

فلو تلا أحد هذه الآيات المثنية على النبى، أو قرأ ترجمتها بلغة أخرى، أو سكب هذا المديح الإلهى القرآنى فى قالب الشعر وأنشد ذلك فى مجلس كان مشركاً؟!.

ثانياً: إن عمل المولد- وإن حدث بعد عهد النبى ﷺ وصحابته- ليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رسول الله ﷺ ولا لإجماع المسلمين، فلا يقول ذلك من له بقية من عقل ودين بأنه مذموم فضلاً عن كونه منكراً عظيماً، وكون السلف الصالح لم يفعلوه صحيح، ولكنه ليس بدليل، وإنما هو عدم دليل، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعاً أو منكراً لو نهى الله تعالى عنه فى كتابه العزيز، أو نهى عنه رسول الله ﷺ فى سنته الصحيحة، والحقيقة أنه صلوات الله وسلامه عليه لم ينه عنه فيها.

قال الإمام الشافعى رضي الله عنه: ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود.

وجرى الشيخ الإمام العز بن عبد السلام والنووى على ذلك، وأن الأثر على تقسيم البدعة إلى خمسة أقسام:

بدعة واجبة: كالرد على أهل الزيغ وتعليم النحو وطباعة المصحف وعلم أصول الفقه وتاريخه.

وبدعة مندوبة: كإحداث الربط والمدارس والمستشفيات والأذان على المنائر، وصنع إحسان لم يعهد فى الصدر الأول كالإسعاف ودار اليتامى والسجون.

وبدعة مباحة: كاستعمال السيارات والطائرات والتوسع فى المأكل والمشرب.

وبدعة مكروهة: كزخرفة القصور وتزويقها مما يعد إسرافاً.

وبدعة محرمة: وهى ما أحدث لمخالفة السنة، ولم تشمله أدلة الشرع العامة، ولم يحتوِ على مصلحة شرعية.

ثالثاً: إن مشروعية الاحتفال بالمولد لا يقصد بها إلا المولد الذى خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها، أما إذا اشتمل المولد على شئ مما

يجب الإنكار عليه كخلوة الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات، وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد، فهذا لاشك فى تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات، لكن تحريمه يكون عارضياً لا ذاتياً.

ولتوضيح الأمر نقول: إن الأعمال الملصقة بالموالد تنقسم إلى ما يلى:

١- **أعمال مشروعة:** كالنية وشد الرحال والاجتماع والمواكب والذكر وتلاوة القرآن، والزيارة والصلاة فى المساجد، وإطعام الطعام للفقراء وسماع السيرة.

٢- **خدمات بريئة:** كالبيع والشراء وألعاب الأطفال، والملاهى وغيرها، فالذى أعطاها الترخيص هى المحليات والبلديات وتحرسها الشرطة، وإذا ساد الرأى أنها مخالفة فيجب إزالتها إما عن طريق وزارة الداخلية أو عن طريق البلديات بحجة إشغال الطريق، وإلا تركت فلا ضرر منها دينياً ولا قانونياً ولا اجتماعياً.

٣- **مخالفات شرعية وأمنية:** كالسرقة والنصب

والاحتيال والدجل والشعوذة، والبلطجة وعدم الانضباط، وهذه الأعمال لا توجد جهة رخصت بهذا، ولا دعت إليه، ولا يعتبر ضمن طقوس الموالد، ولا يجب أن ينسب إلى الموالد، ولكنه كالذباب الذى يتجمع عند الجزارين لا يحرم اللحوم ولا يمكن الاحتراز منه بسهولة.. وكما هو معلوم لا يبطل عمل قوم بعمل الآخرين، ولا تفسد نية رجل بفساد نوايا الآخرين، وإلا نبطل الحج لوجود سرقة أو مخالفة شرعية فيه.

وإليكم أيها القراء الكرام: هذه المفاجأة من العيار الثقيل، وهى أن جميع الأمة- حتى الوهابية يحتفلون بالموالد- علموا بذلك أم لم يعلموا!!. ولبيان ذلك نقول:

إن عيد الأضحى ما هو إلا مولد عام وكبير فرضه الله على جميع المسلمين فى أنحاء الأرض، وزيادة للفائدة سنذكر الاحتفال بذكرى ذبح فداء سيدنا إسماعيل عليه السلام على ما يلى:

أولاً: ما سمى عيد الأضحى إلا لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام ضحى بابنه فى سبيل الله، لكن الله فداه بذبح

عظيم لذلك سمى عيد الأضحية أو الأضحى، فالذبح يسمى فداء وهدى للحجيج، وأضحية عند غير الحجيج.

ثانياً: عيد الأضحى هو عيدان، ميلاد سيدنا إسماعيل عليه السلام أحدهما وهو صغير معرض لهلاك محقق لعدم وجود طعام ولا شراب، والثانى عندما استسلم لوالده وقال له: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات: ١٠٢). ففداه الله بذبح عظيم ومنها أصبحت نسك الحج.

ثالثاً: عيد الأضحى للمسلمين جميعاً فى أنحاء العالم، وهو مشاركة ومتابعة لحجاج بيت الله الحرام.

رابعاً: هو فرحة بالحجاج لما أكرمهم الله به من العفو والمغفرة لخروجهم من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، لما قاموا به من تكرار مواقف سيدنا آدم وأمنا حواء، وسيدنا إبراهيم وأمنا هاجر وسيدنا إسماعيل عليهم السلام.

خامساً: ومما يؤكد أن العيد احتفال بميلاد سيدنا إسماعيل عليه السلام، أن خطبة العيد فى جميع بقاع

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الأرض لا تخرج عن حادثة الأضحية ونجاة سيدنا إسماعيل عليه السلام.

سادساً: الهدى أو الأضحية سواء فى الحج أو فى غيره صورة وتكرار وتقليد لفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام.

سابعاً: عيد الأضحى وعيد الفطر فيهما إحياء ليلتى العيد وخاصة بالتكبير والتهليل والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بأصوات عالية، كذلك باقى أيام عيد الأضحى بعد كل صلاة تكبير وتهليل وصلاة على رسول الله ﷺ وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين. القائل فى الحديث: (زينوا أعيادكم بالتكبير والتهليل).

ثامناً: التكبير والتهليل والصلاة على رسول الله ﷺ وآله وصحبه وتابعيه إلى يوم القيامة هذا يكون أيام عيد الأضحى بعد كل صلاة، ومعناها أنه كل عام مرة خلال أيام عيد الأضحى جميعاً، وهذا احتفال بأصوات عالية من جميع المسلمين، وهذا رغم أنه احتفال من احتفالات العيد إلا أنه احتفال برسول الله ﷺ وباقى أتباعه وهو كل عام فى عيد الأضحى بصورة خاصة، إذن هو تكريم وحفاوة واحتفال بالأمة

الإسلامية ونبيها ﷺ، ثم إن هذه الصلاة النبوية هي من وضع السادة الأئمة الأوائل رضى الله عنهم ولكن معناها هو الاحتفال والتكريم.

تاسعاً: إن تكرار عيد الأضحى كل عام يثبت ويؤكد أن الاحتفال بمولد سيدنا إسماعيل وإحياء ذكراه بأمر من الله ورسوله ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وهو يعتبر إحياء ذكرى ميلاده عند ذبحه عليه السلام.

عاشراً: ومما سلف وضح لنا أن عيد الأضحى مجملا هو احتفال بالأنبياء والصالحين، ومولد لسيدنا إسماعيل عليه السلام ويكرر سنويا.

فهو احتفال بسيدنا آدم وأمنا حواء عليهما السلام وموقف عرفات والمزدلفة والطواف الأول.

واحتفال بسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام، ولهما قصة ذبح الهدى والأضحية ورمى الجمرات بمنى.

وسيدتنا هاجر عليها السلام لها السعى بين الصفا والمروة.

وسيدنا ومولانا محمد ﷺ له تقبيل واستلام الحجر

D:\كتب\الوهابية\doc٢٦.

الأسعد، واستلام الركنين والصلاة عند مقام إبراهيم عليه السلام.. وهذا الاحتفال له جائزة من الله لدرجة أنه ورد فى الحديث أن يوم العيد يوم الجائزة ففيه تغفر الذنوب، ويعود على المضحى ثواب عظيم كما ورد فى الحديث أن الأضحية المقبولة يكتب لصاحبها الثواب بعدد شعرها حسنات، علاوة على أن إحياء ليلة العيد إحياء لقلب المحتفل.. هذا كله ببركة الاحتفال بهذه المناسبة وأصحابها.

يا للعجب!! إن الوهابيين يعظمون شخصياتهم وأمراءهم أكبر تعظيم، تعظيماً يعتبرون جزءاً منه بدعة وشركاً إذا كان للنبى أو لمنبره ومحرابه- ﷺ وآله-!!.

إن الوهابية- بهذه العقائد الجافة- تشوه سمعة الإسلام أمام الرأى العام العالمى، وتعرفه ديناً عارياً عن كل عاطفة، وفاقداً للمشاعر الإنسانية، وناقصاً عن كل تكريم واحترام، ورافضاً لتكريم عظمائه وقادته، وبهذا تُنفِّر الناس من الإسلام وتتركهم فى رفض واشمئزاز منه.

تماماً.. بعكس الإسلام الذى جعله الله ديناً سهلاً

سمحاً يتجاوب مع الفطرة البشرية ويتماشى مع العاطفة الإنسانية، ويجذب- بجماله وروعته- الشعوب والأمم إلى اعتناقه.

والعجب من هؤلاء الوهابيين.. كيف يحِّرمون الاحتفال بالنبى- ﷺ وآله- وبيوم ميلاده المبارك، ذلك النبى الذى أسدى إلى البشرية عامة أعظم العطاء الزاخر الدائم، ويعدُّون الاحتفاء به والاحتفال بميلاده شركاً، ولكنهم يقيمون الاحتفالات الضخمة تشييداً لرجالهم وأمرائهم، وينفقون- فى هذا السبيل- ملايين الريالات، تقديرا لخدماتهم- كما يزعمون-.

أنظر إلى العدد ١٠٢ من مجلة الفيصل- التى تصدر فى طباعة أنيقة جداً فى السعودية- فهو يحتوى على تقرير مفصل عن الاحتفالات الكبرى التى أقامتها الوهابية بمناسبة عودة الأمير سلطان من الرحلة الفضائية فى مركبة ديسكفرى.

ويحتوى هذا العدد على صور كثيرة تنبئ عن حجم المبالغ الطائلة التى صرفت فى تلك الاحتفالات، وقد نشرت الكلمات والقصائد التى ألقيت فى تلك الاحتفالات، وتقرأ فيها المدح المفرط والثناء المسرف

لآل سعود عامة وللأمير خاصة!!.

حتى قرأ أحد المنافقين قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنس إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٣)، وقال: إن قوله تعالى: ﴿بِسلطانٍ﴾ يقصد به الأمير سلطان بن عبد العزيز!!.

بالله عليك- أيها القارئ- هل يستحق أمير- لم يفعل شيئا سوى أنه رافق مجموعة من الأجانب الغربيين فى رحلة فضائية أعدها الأمريكيون- هل يستحق هذا الاحتفاء والتكريم وصرف الأموال الطائلة، وهدر الطاقات والنشاط فيما لا فائدة فيه. ولا يستحق رسول الله- ﷺ وآله- الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، وحلّق بهم فى سماء الكمالات المعنوية والفضائل النفسية والصفات العالية، وأنقذهم من كل سوء وانحطاط وضلال وضياع وانحراف؟!!.

ألا يستحق رسول الإسلام أن تخلد ذكرى مولده الشريف، وتُعدَّد مناقبه وفضائله، وإنجازاته العظيمة، وعطاؤه الزاخر، وخدماته الجليلة، وجهاده وجهوده

وغير ذلك، حتى تعرف الأجيال- على امتدادها- ما أسداه هذا النبى العظيم من خدمة، وما قدمه من عطاء، وما تحمل من عناء فى سبيل هداية البشرية؟!.

وهل التكريم إلا الاحتفاء والاحتفال به، وهل الاحتفال إلا الفرح به ونشر قيمه الفاضلة، والحث على الاقتداء به، والأخذ بهديه، والمحافظة على آثاره؟!.

وكيف لا يجوز مدح النبى- ﷺ وآله- وإلقاء القصائد فى فضله وعظمته، فى حين توافق الوهابية على نشر كتاب (عبق الورود فى فضائل آل سعود) وكتاب (الممتاز فى مناقب ابن باز)؟

بل وقام كبير مرتزقتهم فى مصر (محمد حامد الفقى) مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية فى ٤ شوال ١٣٦٩هـ بطبع كتاب عنوانه (أزهار من رياض سيرة الإمام العادل حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، لمناسبة الاحتفال بذكرى مرور

خمسين عاماً على دخول جلالته الرياض فى ٤ شوال ١٣١٩هـ) وذكر فى الكتاب (٨٣) منقبة وفضيلة للملك عبد العزيز. والملاحظ أنه أطلق على عبد العزيز آل سعود خمسة أسماء حسنى هى: (العادل، صاحب الجلالة، المولى، الملك، المعظم) فى حين أنهم لا يقولون (سيدنا) على أشرف خلق الله ﷺ وآله، والملاحظ أيضاً أنه أصدر هذا الكتاب بمناسبة دخول عبد العزيز الرياض، ولو احتفل المسلمون بمناسبة دخول النبى ﷺ المدينة، أو فتح مكة، أو خيبر لعُدّوا ذلك بدعة منكرة.

ما هذا التناقض بين القول والعمل الذى يقع فيه الوهابيون دائما؟!.

لماذا يمنعون إقامة الاحتفالات بمولد النبى الأكرم، بحجة أنه لم يرد فى فعل الصحابة ذلك، ولكنهم يقيمون أعظم الاحتفالات والمهرجانات لرجالهم السياسيين؟! وليس أدل على ذلك من العيد الوطنى السعودى وهو احتفال بمناسبة جلوس الملك عبد العزيز على العرش.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ

آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ* اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: ١٥-١٦).

لماذا يمنعون الاحتفال بموالد الأولياء وقد أقاموا يوم ٢١ ربيع الثانى ١٤٠٠ هجرية احتفالاً كبيراً بالرياض لمولد ابن عبد الوهاب استمر أسبوعاً كاملاً- كما هو الشأن فى الاحتفال بالموالد عند الصوفية- تحت رعاية الشيخ عبد العزيز بن باز، وقد شد الرحال لحضور هذا المولد كثير من أهل التكفير والتشريك والتبديع من أنحاء العالم الإسلامى، وقد نشر ذلك الاحتفال بمجلة الدعوة فى عددها الصادر عن شهر جمادى الآخرة ١٤٠٠هـ بالصحيفة رقم (١٤)؟!!.

لماذا يرى الوهابيون احتفال المسلمين بميلاد الرسول ﷺ والصالحين بدعة منكرة لا أساس لها من الدين، فى الوقت الذى يحتفلون بعيد ميلاد (كوندا ليزا رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية فى الأراضى المقدسة- كما نشرت ذلك صحيفة أخبار اليوم

القاهرية عدد ٢٠٠٥/١١/١٤م- فكيف تجيز الوهابية الاحتفال بميلاد كوندى فى البلد الحرام، وتحرم الاحتفال بمولد الرسول الكريم؟ وهل فعل ذلك الرسول والصحابة فقلدتهم الوهابية؟!!.

أيها القارئ الكريم: إن المسلمين درجوا من قديم الأيام على الاحتفال بميلاد النبى، يقول الديار بكرى فى كتابه تاريخ الخميس:

(ولا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم، ويتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات ويظهرون السرور، ويزيدون فى المبرات، ويعتنون بقراءة مولده الكريم، وظهر عليهم من كراماته كل فضل عميم).

وهكذا أخى الكريم، عرضنا للعديد من الأدلة القرآنية التى تجيز الاحتفال بموالد الصالحين أو وفياتهم، وهذا اعتراف من المحتفلين بعبودية المحتفى به لأنه ولد وانتقل، والإله لم يلد ولم يولد وله الخلود، إلا أن الوهابية تنصب نفسها حكماً على قلوب ونوايا العباد، فإذا قال المحتفل: إننى لا أعبد الولى، قالوا:

لا، أنت تعبد الولى، وهذا شئ مضحك، فلأول مرة فى تاريخ الإسلام نرى بعض الناس يأتون بنوايا من عندهم يفترضونها، ثم يفرضونها، ثم يقيمون بها الحجة على الآخرين، على اعتبار أن ما فرضوه وافترضوه صحيح؟!!.

فيا أتباع الوهابية: قليلا من التفكر والموضوعية! قليلا من الفهم والمعرفة!

ويبقى السؤال: ما هى أدلة إحياء المولد من السنة الشريفة؟. والجواب كما يلى:

أولاً: جاء أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ، ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمُّه
وتبَّت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائماً
يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره
بأحمد مسروراً ومات موحدا

وهذه القصة رواها البخارى فى الصحيح فى كتاب النكاح، ونقلها الحافظ ابن حجر فى الفتح، ورواها الإمام عبد الرزاق الصنعانى فى المصنف ج٧ ص ٤٧٨، وابن كثير فى السيرة النبوية من البداية ج١ ص ٢٢٤، وابن الدَّيبع الشيبانى فى حدائق الأنوار ج١ ص ١٣٤، والحافظ البغوى فى شرح السنة ج٩ ص ٧٦، وابن هشام، والسهيلى فى الروض الأنف ج٥ ص١٩٢. والعامرى فى بهجة المحافل ج١ ص ٤١، والبيهقى، وهى وإن كانت مرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخارى لها واعتماد العلماء من الحفاظ لذلك، ولكونها فى المناقب والخصائص لا فى الحلال والحرام، وطلاب العلم يعرفون الفرق بين الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام، وأما انتفاع الكفار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محل بسطه، والأصل فيه ما جاء فى الصحيح من التخفيف عن أبى لهب بطلب رسول الله ﷺ وآله.

ثانياً: إنه ﷺ كان يعظم يوم مولده ويشكر الله

تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود، إذ سعد به كل موجود، وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام، كما جاء فى الحديث عن أبى قتادة: أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: (فيه ولدت، وفيه أنزل على) رواه الإمام مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام. وهذا فى معنى الاحتفال به، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام، أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر، أو صلاة على النبى ﷺ، أو سماع شمائله الشريفة.

ثالثا: إن النبى ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التى مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذى وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها.

وقد أصَّل ﷺ هذه القاعدة بنفسه، كما صرح فى الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم أنه ﷺ لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له: إنهم يصومون لأن

D:\كتب\الوهابية\٢٦.doc

الله نجىَّ نبيهم وأغرق عدوهم، فهم يصومونه شكراً لله على هذه النعمة، فقال ﷺ: (نحن أولى بموسى منكم). فصامه وأمر بصيامه.

رابعاً: يؤخذ من قوله ﷺ– الذى رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة فى فضل يوم الجمعة وعد مزاياه– (وفيه خلق آدم). تشريف الزمان الذى ثبت أنه ميلاد لأى نبى كان من الأنبياء عليهم السلام، فكيف باليوم الذى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين؟.

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصاً ولنوعه عموماً مهما تكرر، كما هو الحال فى يوم الجمعة، شكراً للنعمة، وإظهاراً لمزية النبوة، وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية، وجبهة الدهر وصحيفة الخلود.

كما يؤخذ تعظيم المكان الذى ولد فيه نبى من طلب جبريل عليه السلام من النبى ﷺ بصلاة ركعتين ببيت لحم، ثم قال له: (صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى)

كما جاء فى حديث شداد بن أوس الذى رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى، قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد: ورجاله رجال الصحيح ج١ ص ٤٧، وقد نقل هذه الرواية الحافظ ابن حجر فى الفتح ج٧ ص ١٩٩ وسكت عنها.

خامساً: إن الموالد أمر استحسنه العلماء والمسلمون فى جميع البلاد، وجرى به العمل فى كل صقع، فهو مطلوب شرعا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو قبيح عند الله قبيح).

سادساً: إن المولد اشتمل على: اجتماع، وذكر، وصدقة، ومدح وتعظيم للجناب النبوى، فهو سنة، وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

سابعاً: نجد أنه ﷺ قد تكرر منه أن أخذ الصحابة رضوان الله عليهم عدة مرات ذاهباً إلى البقيع ثم صلى على موتى البقيع صلاة الجنازة فى هذا الجمع،

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

وكذلك فعل مع شهداء أحد زارهم وصلى عليهم بعد دفنهم بسنة وبثلاث وبسبع، ونأخذ من هذا المظهر إحياء ذكرى، وتكريم جماعى سنوى بسُنَّة لا يمكن إنكارها.

وهكذا يتعرى الوهابيون من الأقنعة الإسلامية المزيفة التى يلبسون بها آراءهم الشاذة وأفكارهم الباطلة فى تحريم الموالد للأنبياء والصالحين.. والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثامن

طلب المدد من الصالحين

نداء أولياء الله والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم فى الشدائد والمكاره، من المسائل التى وقع الاختلاف فيها بين الوهابيين والمسلمين، فالسنة الإسلامية قائمة بين المسلمين على الاستغاثة بالأنبيــاء وأوليــاء الله، وندائهم بأسمائهم عند الشدائد والمصاعب والأخطــار المحتملة، سواء كانت الاســتغاثة عنــد روضــاتهم الشريفة أو فى مكان آخر، ولا يرى المسلمون بأســاً فى هذه الاستغاثة، ولا شركاً ولا مخالفة للدين، فــى حين يتعصب الوهابيون ضد هذه الظــاهرة تعــصباً شديداً، ويتذرعون ببعض الآيات القرآنية- التــى لا علاقة لها بالمسألة أبداً- لتلبيس باطلهم بالحق.

لقد تسرع ابن تيمية- وأتباعه- فى الحكم، فأنكروا أن يكون الصحابة والتابعون قد طلبوا حاجة من النبى ﷺ وآله، فهم يقولون فى رسالة الهديــة الــسنية ص ١٦٢ طبعة المنار فى مصر:

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

(ولم يكن أحد من ســلف الأمــة- فــى عــصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعى التابعين- يتخيــرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبيــاء ويــسألونهم، ولا يستغيثون بهم لا فى مغيبهم ولا عند قبورهم).

لكن ما لفت انتباهنا رأى ابن بــاز وتابعــه ابــن العثيمين، فى طالب المــدد والعــون، أو المتوســل والمستغيث بالصالحين بأنه مشرك، حيث قــالا فــى كتاب (إعصار التوحيد يحطم وثن الصوفية) ص ٥٣: (من كان يصلى ويصوم ويأتى بأركان الإسلام إلا أنه يستغيث بالأموات والغائبين وبالملائكة ونحو ذلك فهو مشرك، وإذا نصح ولم يقبل وأصر على ذلك حتــى مات فهو مشرك شركاً أكبر يخرجه عن ملة الإسلام، فلا يُغسَّل، ولا يصلى عليه الجنازة، ولا يــدفن فــى مقابر المسلمين، ولا يدعى له بــالمغفرة، ولا يرثــه أولاده ولا أبواه ولا إخوته الموحــدون، ولا نحــوهم ممن هو مسلم لاختلافهم فى الدين).

وقالا- أى ابن بــاز وابــن العثيمــين- ص ٦١: (الاستعانة والاستغاثة بغير الله من الأموات والغائبين والأصنام ونحوها شرك بالله عــز وجــل، وهكــذا

الاستغاثة والاستعانة بغير الله من الأحياء فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر يخرج من ملة الإسلام).

سبحانك يا الله.. فابن باز هذا وتابعه أفتيا بجواز الاستغاثة والاستعانة بأمريكا وفرنسا وإنجلترا، لتحرير الكويت، وكان نداؤهم: مدد يا بوش، نظرة يا تاتشر، أغثنا يا ميتران!!.

ولما كان هذا الأمر يخص الملايين من المسلمين المحبين للصالحين، فقد استعنا بالله فى الرد عليهم وتفنيد هذا الافتراء.

وبداية نقول: لعل الإنسان الجاهل بتاريخ الصحابة والتابعين ينخدع بهذا الكلام ويتصور صدقه وصحته، ولكن سرعان ما يثبت له كذب هذا الادعاء وبطلانه إذا قام بنظرة خاطفة إلى التاريخ، وقرأ بعينه توسل الصحابة وغيرهم بالنبى، والاستغاثة به- ﷺ وآله-. وإليك بعض النماذج من ذلك كما ذكرها السمهودى فى وفاء الوفا فى الجزء الثانى والرابع:

النموذج الأول: أصاب الناس قحط فى عهد عمر ابن الخطاب، فجاء رجل إلى روضة النبى ﷺ وآله فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

فأتاه رسول الله ﷺ وآله فى المنام فقال: ائت عمر، فأقرءه السلام وأخبره إنهم مُسْقَون).

ثم يقول السمهودى بعد ذكر هذه القضية:

(ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه ﷺ وهو فى البرزخ، ودعاؤه لربه فى هذه الحالة غير ممتنع، وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد، فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه، كما كان فى الدنيا).

ويروى السمهودى **النموذج الثانى** أيضا عن الحافظ أبى عبد الله محمد بن موسى بن النعمان، بسند ينتهى إلى الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام.

(أن أعرابيا جاء إلى المدينة بعد ثلاثة أيام من دفن النبى ﷺ وآله، فرمى بنفسه على روضة النبى وحثى من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه ما وعينا عنك، وكان فيما أنزل عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ وقد ظلمت نفسى وجئتك تستغفر لى)، وهذه الرواية ذكرها أيضاً ابن عساكرفى تاريخه، والحافظ أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه (مثير

الغرام الساكن)، وابن كثير ١/٦٩١ فى تفسير قولــه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُــمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤).

وللدخول فى مناقشة طلب المدد مــن الــصالحين نسأل عدة أسئلة كما يلى:

السؤال الأول: ما معنى المدد وأهميته؟

والجواب: بداية لقد بتنا نجد أنفسنا فــى زمــان، المسلمون فيه بأمسِّ الحاجة إلى المعونات الروحيــة والإمدادات النورانية، لاسيما وقــد انهــارت أفكــار أصحاب النظريات المادية، وارتبط التقــدم المــادى باليأس من الحياة، حيث نرى أعلى نسبة دخل للفــرد فى العالم بالسويد، وبها أيضاً أعلى نــسبة انتحــار، والناس ينتظرون بشغف ولهف البديل الذى يؤمِّن لهم حياة سعيدة، لأن الإنسان مكون من جسم مادى وروح معنوية، ولكل غذاؤه، والدين الإسلامى غنى بالأمور المادية والروحانية والنورانية، ومفاهيمه واقعية تعالج جميع الأحوال، فى أى زمان ومكان.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

وكلمة (مدد) يختلف معناها باختلاف نية قائلهــا، ومقصوده القلبى، وسبب قولها، فقد ورد فى (لــسان العرب) عن معنى كلمة مدد: مددنا القوم، أى: صرنا لهم أنصاراً ومدداً.

وفى (المعجم الوسيط) مَدَّ الجيش، أى: أعانه بمدد يقويه، ومد الشىء، أى: زاد فيه، ومــد فلانــا، أى: أعانه وأغاثه، واستمد القومُ الأميرَ، أى: طلب منــه مدداً ومعونة.

فإذا قال المسلم: مدد يا الله، أى: أعنى وأمدنى من رحمتك، وانصرنى على أعدائك، وزودنى بالرحمات والبركات، وأمدنى بالمقدرة على طاعتك، ومحاربــة نفسى والشيطان بمعونة مددك.

وإذا قال المسلم: مدد يا أولياء الله، فالأمر يتوقف على حالة الولى، هل هو حى أم منتقل.

فإذا كان الولى حياً فيكون المــدد معنــاه: طلــب دعائه، وإرشاده، وروحانيته، وتوجيهــه وتربيتــه، وبركة صلاحه وتقواه، وسره مع الله، وعلمه الــذى علمه الله، وما هو من هذا السبيل.

أما إذا كان الولى منتقلاً فيكون المدد من روحــه

الحى بخصائصه فى برزخه السامع المدرك، الذى له ما يشاء عند ربه، ويكون المدد معناه: طلب التوسل به إلى الله، والاستشفاع به إليه تعالى فى قضاء الحوائج، ودفع الجوائح، والتماس بركة مقامه عند الله، والاستمداد من مدد الله وسره: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٢١).

والسؤال الثانى: ما الفرق بين مدد الأحياء ومدد الأموات؟

الجواب: الوهابيون لا يجيزون التوسل والمدد من الأموات بزعم أنه خطاب لمعدوم لعدم قدرة الميت على الإجابة، ويجيزونه من الأحياء القادرين على الإجابة، ونقول لهم: إنه يجوز طلب المدد والاستغاثة بالصالحين أحياء ومنتقلين، لأن الموت ليس من العدم للأدلة التالية:

أولاً: من الكتاب:

نزل فى حق الصالحين، قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ

يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩). وقوله تعالى بلسان مؤمن قومه: ﴿يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس: ٢٦-٢٧).

ما نزل فى حق الكفار من قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِياً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٦).

ثانياً: من السنة:

روى أحمد والسيوطى وابن كثير والقرطبى، أن النبى ﷺ أتى قليب بدر وخاطب المشركين بقوله تعالى: ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقاً﴾ (الأعراف: ٤٤)، فقال له الصحابة: إنك تدعو أمواتا، فقال: (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون).

وروى البخارى فى صحيحه فى باب كيفية فرض الصلاة وملاقاة النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بالأنبياء، وتكلمه معهم سلام الله عليهم.

وفى سنن النسائى وابن ماجة وأبو داود وأحمد قال ﷺ: (أكثروا علىَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة

علىَّ، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا وقد أرمت؟، قال: إن الله تعالى قد حرم علـى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبى الله حى يرزق).

فإذا كان الأنبياء والشهداء والأولياء أحياء يرزقون ويشهدون الصلاة والسلام ممن يصلى ويسلم عليهم من قريب أو بعيد، فكيف لا يشهدون نداء من يناديهم، واستغاثة من يستغيث بهم؟!.

ولا فرق فى التوسل وطلب المدد من الأنبياء وغيرهم من الأولياء بين كونهم أحياء أو أمواتا، لأنهم فى كلتا الحالتين أسباب عادية لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير فى شئ، وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لا شريك له فى كل ذلك.

أما الوهابية الذين يتظاهرون بالدفاع عن التوحيد، ويجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات، فقد دخل الشرك فى توحيدهم من حيث لا يدرون لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء، مع أنه لا تأثير فى الحقيقة إلا لله.

ويجب أن يحمل قول المسلم: (يا حسين أدركنى)، و(يا بدوى المدد)، و(يا رفاعى نظرة) على المجاز

العقلى، كما يحمل عليه قول القائل: (هذا الطعام أشبعنى)، (وهذا الماء أروانى)، (وهذا الدواء شفانى) فالمشبع والمروى والشافى الحقيقى هو الله وحده، وإنما تلك أسباب عادية ينسب إليها الفعل لما يرى من حصوله بعدها فى الظاهر، وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلى، وهو إسناد الفعل إلى غير ما هو له، من سبب أو غيره، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم، فإن كون المنادى مسلماً، ويعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً إلا بأقدار الله تعالى، يكفى قرينه على ذلك.

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه:

لقد وضع الأسباب ربك حكمة
ليشهد فيها يظهر التبيان
فمن شهد الأسباب تفعل فهو فى
ضلال مبين قاله القرآن
ومن شهد الأسباب تنبى بأنها
أواسط فيها الفضل والإحسان

وهذا شهود العارفيـــــن بربهم
لقد خصَّهم فضلاً به الرحمـــــــن

وقد يحمل طلب المدد بمعنى طلب الــدعاء مـــن الروح فى عالم الطهر والنور، وقد قرر شيخ السلفية (ابن القيم) فى كتابه (الــروح): (أن لـــلأرواح قـــوة وطاقة وقدرة لا يتصورها البشر، حتـــى أن روحـــا واحدة عظيمة تؤثر فى جيش كامل)، ونحن نثبت ذلك القول، تنزهاً عن تكفير المسلمين!!.

والمتوسل، والمستشفع، وطالــب المــدد، كلهــم معترف بذنوبه، مقر بعيوبــه، متجــرد مــن حولــه وقدرته، فهو لا يرى نفسه أهلاً للمثول فى الحــضرة العلية بما عليه من الأوزار والأوضار، وبخوفه مـــن أن تكون طاعاته مدخولة مردودة، فهـــو يرجـــو أن يتقبله الله ويغفر له بتجرده من ظلمة علمه وعمله، ثم ببركة من يعتقد فيه من أهل الله، فهو كما يتوجه إلى الله بخوفه من نفسه، يتوجه إلى الله تعالى برجائه فى حبه بغيره، وبهذا يجمع أطــراف الخيــر جميعــاً، والخوف والرجــاء لا يخطئـــه أحـــدهما بـــإذن الله،

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

والأعمال أولاً وأخيراً بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

ولا يشترط أبداً فيمن تتخذه وســيلة إلـــى الله، أن يكون أفضل منك، أو من غيرك من المسلمين، فقــد صح أن النبى ﷺ لما استأذنه سيدنا عمر فى العمرة، قال ﷺ له: (لا تنسنا يا أخى من دعائك). وكــذلك صح أن النبى ﷺ أذن لسيدنا عمر وغيره أن يطلــب الدعاء من أويس القرنى رضـــى الله عنهمـــا. وفـــى الحديث الصحيح: (رب أشعث أغبر ذى طمرين لـــو أقسم على الله لأبره). وقد طلــب ﷺ مـــن أمتـــه أن تدعوا له بالوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعـــة والمقام المحمود. وفى هذه المسائل كلها طلب الأعلى ممن هو دونه على علاته، طاعـــة لقولـــه تعـــالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢).

وبهذا يندفع اعتراض الوهابية حين يقولون: لعـــل الذى نتوسل به إلى الله يكون كذا وكذا، أو كذا وكذا، وهبنى أحسنت الظن برجل مستور الحال، أو غيـــر ذى بال، فالله يجزنى على حسن ظنى، ويجزيه على سوء فعله.

والمدد بالمعنى الذى ذكرناه موجود حساً ومعنـــى

فى حياتنا، فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الإنسان يستعين بالطائرة والباخرة والسيارة والقطار لقضاء الحوائج الدنيوية، والانتقال بواسطتها من بلد إلى آخر، هذا وإن الطيارين والبحارة يستدلون على وجهة سفرهم بواسطة قطعة معدنية يقال لها: (البوصلة) ترشدهم إلى الجهة المطلوبة، ولا ينكر ذلك الوهابية، فهل الاستعانة بالمعدن تخرج عن الملة؟ أم أن الاستعانة بالمعدن أفضل من الاستعانة بالصالحين؟!!.

السؤال الثالث: ما الفرق بين مدد الخالق ومدد المخلوق؟

والجواب: الفرق بين إمداد الله تعالى للناس، وإمداد الأنبياء والأولياء لهم واضح ظاهر، فالله سبحانه يمد من يشاء من عباده، من خزائن فضله ورحمته بالمعونة والإغاثة والنصرة على الأعداء متى شاء، وكيفما شاء، ولا يتوقف عطاؤه تعالى على إذن أحد أو رضاه.

وأما حضرات الأنبياء والأولياء، فلا يكون إمدادهم للطالبين إلا بإذن الله ومشيئته ورضاه، وهو بالحقيقة

مستمد من أمداد الله تعالى، فما عند الولى من الإمداد المعنوى إنما هو مما أعطاه الله من أسرار ليقوم بواسطتها بخدمة ومساعدة المسلمين فى جميع ما يرضى الله تعالى ويخدم دينه.. ولمزيد البيان نقول:

أولاً: مدد الملائكة الكرام

فى القرآن الكريم آيات ترجع بعض الأعمال لله سبحانه، وتأتى آيات أخرى لترجع نفس هذه الأعمال للملائكة الكرام، تسخيراً منه سبحانه، ومثال ذلك:

(١) **توفى الأنفس:** قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ (النحل: ٧٠). ويقول: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ﴾ (السجدة: ١١). فالتوفى فى الأولى راجع إلى الله، وفى الثانية راجع لملك الموت بأمر الله وإذنه سبحانه، والتوفى لا يعنى الإماتة بل يعنى الأخذ والقبض.

(٢) **الحفظ:** قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف: ٦٤). ويقول: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١). وعلى هذا فإن الله تعالى قد أمد

الملائكة بأسرار يحفظون بها عباد الله بتسخير منه عز وجل، فهو فعال لما يريد، والمعترض على ذلك فهو ساقط الاعتبار.

(٣) كتابة الأعمال: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس: ١٢). وقال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق: ١٨)، وقال تعالى: ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١١)، فالملائكة عندها المقدرة لمعرفة وكتابة أفعال العباد بتسخير وعلم منه سبحانه، وغير ذلك من الأمثلة كثير.

ثانياً: مدد الأنبياء عليهم السلام

من المعلوم أن حضرات الأنبياء أرفع درجة عند الله من حضرات الملائكة، وهذا يستلزم أن يكون للأنبياء المقدرة على حمل أسرار أعظم من الأسرار التى تحملها الملائكة، وفيما يلى نعرض بعض الأمثلة:

(١) تصريف الرياح: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف:

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

٥٧) وقال سبحانه: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (الأنبياء: ٨١). ومن كانت الرياح تجرى بأمره تسخيراً من الله لو سلطها على الجبال لقلبت الصخور، ولو أرسلها على مدينة لدمرتها بإذن الله تعالى.. ويجوز للمظلومين أن يطلبوا المدد والعون منه لوجود هذه القوة الخارقة معه، بل إن الله تعالى أنزل عليه العطاء وفوضه فى قسمته فقال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (ص: ٣٩).

(٢) الخلق: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (الفرقان: ٢)، وقال فى حق سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾(المائدة: ١١٠).

(٣) شفاء المرضى: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء: ٨٠)، وقال سبحانه فى حق عيسى عليه السلام: ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾(المائدة:١١٠).

(٤) إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿فَاللَّهُ هُوَ الوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي المَوْتَى﴾ (الشورى: ٩)، وقال فى حق

سيدنا عيسى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١٠) وعلى هذا، فأى شئ يريد الله أن يجريه على أيدى عباده، فيكون بإذنه، من إحياء وإماته وإمداد لأنها فى الحقيقة منه.

وقد قال الله فى حق سيدنا نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (هود: ٤٨). ذكر صاحب صفوة التفاسير، أى: وخيرات عظيمة عليك وعلى ذرية من معك من أهل السفينة.

ونقول: إن هذه الخيرات والبركات التى أعطاها الله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام، لابد أن يستفيد بها من حوله من المؤمنين، فهذه الاستفادة، ولو جرت على يديه فإنها فى الحقيقة من الله تعالى، وكذلك من يفيض الله عليه من البركات، فصحبته تعكس تلك البركات والخيرات على جليسه، كما قال ﷺ: (مثل الجليس الصالح، والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يعدمك من صاحبك المسك، إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثاً) (رواه البخارى، فى الفتح

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الكبير، ج٣/ ص١٢٨).

ثالثاً: مدد حضرة المصطفى ﷺ وآله.

من المعلوم أن سيدنا محمداً ﷺ هو أرقى من جميع الأنبياء والمرسلين والملائكة، وبهذا يكون المدد المعطى له من الله أرقى وأعظم من جميع الأمداد من سائر الخلق، وقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) وقال ﷺ فى حديث رواه البخارى: ﴿إنما أنا قاسم والله معطى).

وقال سبحانه فى حقه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

فما دام حضرة النبى ﷺ حاملاً الرحمة الإلهية للعالمين، فهذا يعنى أنه يمد الخلق بإذن الله بأمداد الرحمة والرأفة التى أعطاها إياه مولاه سبحانه.

ومما قال سبحانه أيضا فى حقه ﷺ: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (التوبة: ٤٠). وأيده أيضا بإمدادات لن يذوقها أو يراها منكر العطاء الإلهى لخواص خلقه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢). فمن شاء الله أن يزكيه يقتبس من أخلاقه ﷺ العظيمة الخيرة ليصبح ممن أفلح، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥). والنور هو المدد من الله تعالى، فحضرة النبى ﷺ يحمل مدداً نورانياً، وقد جعله الله مداراً للإمداد يمد من آمن من العباد، وواسطة لتلقى الرحمات والبركات.

وطلب المدد من رسول الله ﷺ ما هو إلا اقتداء بما أمر الله به الصحابة الكرام من طلب استغفار الرسول ﷺ لهم فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤). فالسائل يسأل ربه أولاً، ثم يطلب المدد ممن هو أرفع منه، اعترافاً بتقصيره، وبأنه ليس أهلاً لإجابة دعائه، وبهذا يكون ملتزما بالكتاب والسنة حالاً ومقالاً، فقول القائل: مدد يا رسول الله، أى: استغفر لى، وعلمنى

مما علمك الله بإذن الله، واشملنى بالرحمة والرأفة والنور حتى تزكو نفسى فأكن من المفلحين.

رابعاً: مدد الورثة والأولياء

معلوم أن العلاجات على نوعين: منها ما هو ظاهر، ومنها ما هو باطن، والعلاجات الباطنية، أى: القلبية، هى من اختصاص ورثة حضرات الأنبياء عليهم السلام، وهم من كَمُلَ إيمانهم، وقد حض الله المؤمنين على مصاحبة هؤلاء الرجال، والاستفادة مما أعطاهم الله من فضله وإمداده، والاقتداء بهم للوصول إلى ما وصلوا إليه، أوللتشبه بهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩).

فالصحبة تعكس هذه الفوائد النورانية كالمرآة من قلوب حاملى الأمداد النورانية إلى قلوب الطالبين المستمدين بإذن الله وعونه سبحانه، وهو مثل مساعدة الناس بعضهم بعضاً فى شتى الأمور الحياتية والمعاشية، وليس فى ذلك ما يخالف الإسلام.

وقد ظهر لنا من خلال آيات الله تعالى أنه بحكمته

سبحانه قد سخر الخلائق بعضها لبعض، وليفيد بعضها بعضا بإذن الله، فكل نوع يفيد نوعه، فالشمس تعكس ضوءها على القمر فى الليل، والقمر يعكس نوره على الأرض، ويقال لهذه الظاهرة: مدد انعكاسى.

فطلب المريد المدد من شيخه ما هو إلا انعكاس قلب الولى الكامل- الذى هو أفضل عند الله من الشمس والقمر- على قلب المريد، فما وجه المخالفة الشرعية والعقلية فى ذلك؟.

وإذا ثبت الاستمداد بين الجمادات فيما بينها، فكيف ينتفى بين المخلوقات البشرية، وإذا كان القرآن أثبت المدد للكافرين فقال: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الغَيِّ﴾ (الأعراف: ٢٠٢). فكيف لا يكون المدد مثبتاً للصالحين؟!.

ولننظر فى المقدمة التى أوردها ابن عابدين فى رسالته: (الفوائد المخصصة بأحكام كىّ الحمصة) حيث ذكر رسالتين للشيخ حسن الشرنبلى الوفائى، والثانية للشيخ عبد الغنى النابلسى، ثم قال: (فأردت أن أذكر حاصل ما فى هاتين الرسالتين.. مستعيناً بالله

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

تعالى، مستمداً من مدد هذين الإمامين الجليلين).. فهذا الإمام الجليل ابن عابدين، الذى لا يخفى على أحد من طالبى العلم الشريف مكانته العلمية، يستمد من أمداد الصالحين، وهو يعلم يقينا أن الذى أمد هؤلاء الأكارم إنما هو الله سبحانه، وهو يطلب مدد ربه بواسطة صلاح وتقوى الكرام.

وقال المحدث الورع الفقيه الإمام ابن أبى جمرة الأندلسى فى كتابه (بهجة النفوس ج٣ ص٦٢، ٦٣) فى معرض شرحه لحديث الإفك: (ولهذا المعنى جعل عليه السلام لقيا المؤمن لأخيه المؤمن ببشاشة الوجه صدقة، لأن المؤمن يستمد من أخيه بحسب ما يظهر على ظاهره، كما أن أهل البواطن يستمد بعضهم من بعض بحسب ما يكون فى بواطنهم). والأمثلة على ذلك تطول.

ولا تفتنا الخارقة التى حصلت لأمير المؤمنين سيدنا عمر رضي الله عنه، الذى كشف الله عن بصره فرأى الجيش الإسلامى، وهو على منبر رسول الله ﷺ فى المدينة المنورة، يخطب الجمعة، فنادى سارية قائد الجيش، وقد كاد يقع هو وجنوده فى كمين نصبه

الأعداء لهم، فصاح محذراً: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، فسمع سارية النداء، والتجأ إلى الجبل، ونجا هو ومن معه.

والقصة مشهورة يرويها الخلف عن السلف، وهذا ما يعرف بالكشف ورفع حجاب المسافات الوارد فى قول النبى ﷺ: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل) (رواه البخارى).

وكما وصل الصوت بقدرة الله تعالى من رجل إلى رجل على هذا البعد الشاسع، إذ جعل الله فى صوته مدداً مده من البعد مداً، فالله سبحانه قادر أن يوصل طلب الأمداد من رجل إلى آخر مهما بعدت بينهما المسافات.

السؤال الرابع: ما هى أدلة جواز طلب المدد؟

أولاً.. روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ ذكر فى قصة هاجر أم إسماعيل عليهما السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى فى طلب الماء، فسمعت

صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت: (أغث إن كان عنك غوث).

فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث، ولما ذكر النبى ﷺ ذلك لأصحابه ولم ينكره، ولما نقلته الصحابة بعده وذكره المحدثون.

ثانياً.. روى البزار وأبو نعيم وابن حجر والحافظ العراقى والهيثمى والسيوطى والزرقانى وابن حبان وابن أبى حاتم وصححه الألبانى الوهابى، قال ﷺ: (حياتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتى خير لكم، تعرض علىَّ أعمالكم فإن وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت غير ذلك استغفرت لكم)، وهذا دليل واضح على جواز طلب المدد من رسول الله على الدوام، حتى لا يقول وهابى: إنه ﷺ مات، ومدده فى حياته فقط.

ثالثاً.. روى الطبرانى فى الكبير والمتقى الهندى فى كنز العمال عن عتبة بن غزوان أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا أضل أحدكم شيئاً أو أراد غوثاً وهو بأرض ليس بها أنيس، فليقل: يا عباد الله أغيثونى، يا عباد الله أغيثونى، فإن لله تعالى عباداً لا

يراهم).

يقول جهلة الوهابيين: إن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب، وهؤلاء على حد زعمهم أحياء، ومن ثم فلا يستدل بهذا الحديث على الاستغاثة بالأموات، ونرد عليهم بما يلى:

أ- لا صراحة فى الحديث أن المقصود بعباد الله من ذكرهم الوهابيون لا غير، بل إن النص عام غير مقيد بفئة من عباد الله دون فئة.

ب- الحديث يفيد نداء الغائب غير المرئى الذى لم يجوزه جهلة الوهابيين كنداء الميت تماماً بتمام، قال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ* وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الحاقة: ٣٨-٣٩)، فى إشارة إلى العوالم المرئية وغير المرئية.

جـ- الإغاثة هنا ليست كإغاثة الله لخلقه، وإنما هى تعليم وتعريف وإرشاد ومساعدة بإذن الله.

رابعاً.. روى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والحاكم والبزار والنووى والطبرانى، عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا انفلتت

دابة أحدكم فى أرض فلاة (أى: صحراء واسعة) فليناد: يا عباد الله أحبسوا علىَّ دابتى، فإن لله فى الأرض حاضراً، (أى: عبادا لا يراهم الناس عادة وظفهم الله لخدمة المؤمنين) سيحبسه عليكم) وهذا الحديث ذكره ابن تيمية إمام الوهابية فى كتاب (الكلم الطيب).

ومن هذه الأحاديث يتبين أن الله سبحانه قد خص عباداً بأسرار وإمدادات ليخدموا بها المؤمنين، مهما كان بين الداعى والمجيب من مسافات شاسعة، وذلك كله بأمر الله، وفى هذه الأحاديث أيضاً حجة ورد على من يقول: لا يجوز طلب المدد من عباد الله.

وهل يعقل أن إماماً جليلاً كأحمد بن حنبل ﷺ- الذى يزعم الوهابية أنهم ينتمون إليه- قد جهل ما يجوز وما لا يجوز للمؤمن فعله؟!!، فقد روى ابن مفلح الحنبلى فى كتابه (الآداب الشرعية) قول الإمام أحمد: (حججت خمس حجج فضللت (أى: أضعت الطريق) وكنت ماشياً، فجعلت أقول: يا عباد الله دلونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق).

السؤال الخامس: ما هى شبهات طلب المدد؟

الشبهة الأولى: يستدل الوهابيون فى إبطال المدد بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ للَّه فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّه أَحَداً﴾ (الجن: ١٨) ولكن أيها القارئ الكريم لابد أن تطلع على الآيات القرآنية التى يستدل بها الوهابيون على رأيهم الشاذ، ثم نتناول تلك الآيات بالبحث والتشريح- إن شاء الله تعالى- كى تعرف تفسيرها الصحيح، وبذلك نرد عليهم من نفس القرآن الكريم الذى زعموا أنهم يستدلون به، قبل كل شئ، نذكر بعض تلك الآيات:

﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾ (الرعد: ١٤).

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (فاطر: ١٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ

كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾ (سبأ: ٢٢).

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ﴾ (الإسراء: ٥٧).

﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ﴾ (يونس: ١٠٦).

﴿إِن تَدْعُوَهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ (فاطر: ١٤).

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ (الأحقاف: ٥).

بهذه الآيات يستدل الوهابيون على حرمة الاستغاثة بأولياء الله ودعائهم وندائهم بعد وفاتهم، وأن ذلك عبادة لهم وشرك بالله، فإذا قال رجل- عند روضة رسول الله ﷺ وآله -أو فى مكان آخر-: (يا محمد) فقد عبده بهذا النداء والدعاء.

الجواب: مما لاشك فيه أن لفظ الدعاء فى -اللغة العربية- معناه: النداء، وقد يستعمل فى معنى العبادة، إلا أنه لا يمكن- بأى وجه- أن نعتبر الدعاء والعبادة لفظين مترادفين فى المعنى، فلا يمكن أن نقول: كل دعاء عبادة، وذلك للأمور التالية:

الأول: لقد استعمل القرآن المجيد لفظ الدعاء فى

مواضع عديدة، ولا يمكن القول بأن مقصوده منه: العبادة، فمثلاً.. يقول تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً﴾ (نوح: ٥). فهل يصح أن يقال: إن النبي نوحا عليه السلام قصد من كلامه هذا أنه عبد قومه ليلاً ونهاراً ؟!.

واقرأ قوله تعالى– عن لسان إبليس في خطابه للمذنبين يوم القيامة–: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ (إبراهيم: ٢٢). هل هناك من يحتمل أن معنى دعاء الشيطان للمذنبين هو عبادته لهم؟!. مع العلم أن العبادة– إذا تحققت– تكون من المذنبين للشيطان لا من الشيطان لهم.

في هاتين الآيتين– وآيات أخرى مماثلة لسنا في حاجة إلى ذكرها– جاء لفظ الدعوة في غير معنى العبادة، ولهذا لا يمكن القول بأن الدعاء والعبادة لفظان مترادفان، وأن من دعا أحد الأنبياء أو الأولياء فقد عبده وأشرك بالله، كلا، لأن الدعوة – والدعاء– أعم من العبادة وغيرها.

وعلى اصطلاح أهل المنطق، بين الدعاء والعبادة عموم وخصوص من وجه، فالاستغاثة بأولياء الله–

مع الاعتقاد بقدرتهم المستمدة من قدرة الله– دعاء لا عبادة، وبعض الفرائض الدينية كالركوع والسجود– المقرونين بألوهية من تركع وتسجد له– عبادة لا دعاء، والصلاة– مثلاً– دعاء وعبادة.

الأمر الثاني: إن معنى الدعاء– في الآيات التي استدل بها الوهابيون– ليس مطلق النداء، بل معناه النداء على وجه يكون مرادفاً للعبادة، لأن جميع هذه الآيات إنما نزلت في شأن عبدة الأصنام الذين كانوا يعتقدون بأنها آلهة صغيرة قد فُوّض إليها بعض شؤون الكون، ولها الاستقلال في التصرف، فمن الواضح أن كل دعاء ونداء لهذه الأصنام– سواء كانت آلهة كبيرة أو صغيرة، مع الاعتقاد بأنها مالكة الشفاعة والمغفرة– يعتبر شركاً وعبادة لها.

وأوضح دليل على أن عبدة الأصنام كانوا يدعون أصنامهم باعتقاد ألوهيتها هو قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ (هود: ١٠١).

إذن: لا علاقة بين الآيات المذكورة وهذه المسألة إطلاقاً، لأن البحث حول استغاثة إنسان بإنسان آخر

من دون الاعتقاد بربوبيته وألوهيته، ولا بمالكيته للرزق والمغفرة والنفع والضر، ولا باستقلاله فى التصرف فى أمور الكون والدنيا والآخرة، باعتبار أنه عبد صالح ووجيه عند الله، قد اصطفاه الله للنبوة أو للإمامة، ووعد باستجابة دعائه فى حق من يدعو له، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾ (النساء: ٦٤).

الأمر الثالث: إن فى الآيات- التى استدل بها الوهابيون- دليلاً على أن المقصود من الدعاء هو العبادة لا مطلقاً.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠).

لقد ذكر سبحانه لفظ (ادعونى) ثم اتبعها بلفظ (عبادتى) مما يدل- دلالة واضحة- على أن المقصود من ادعونى-هنا-: عبادة الله وترك عبادة غيره، ولهذا كان المشركون يستكبرون عن دعائه وعبادته سبحانه.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

وقد جاءت فى القرآن الكريم آيتان بمعنى واحد، استعمل فى إحداها لفظ (العبادة) وفى الثانية لفظ (الدعوة).

فالأولى قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَراً وَلاَ نَفْعاً﴾ (المائدة: ٧٦).

والثانية هى قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا﴾ (الأنعام: ٧١).

ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ (الأعراف: ١٩٧).

فى هذه الآية جاء بلفظ تدعون وفيها دلالة واضحة على أن هذه الدعوة هى دعوة الأصنام، وكان المشركون يعتقدون بأنها آلهة من دونه تضر وتنفع، ولهذا رد الله عليهم بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

وجاء هذا المعنى فى آية مماثلة بلفظ (تعبدون) وهى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ (العنكبوت: ١٧).

وفى آية أخرى جاءت الكلمتان متقارنتان بمعنى واحد، وهى قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (غافر: ٦٦).

أيها القارئ الكــريم: أرجو منك أن تقوم بمراجعة المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة: (عبــد) و(دعا) كى ترى بعينك كيف جاء لفظ العبادة– فــى آية– و(الدعوة والدعاء) –فى آية أخــرى– بمعنــى واحد ومضمون واحد، مما يدل– أوضح دلالة– على أن المقصود من الدعوة والدعاء– فى هذه الآيــات– هى العبادة، لا مطلق النداء والدعاء.

فإذا تأملت الآيات التى تــضمنت لفــظ (الــدعاء والدعوة) بمعنى العبادة، لرأيت أن تلك الآيات تتحدث عن الصراع بين الإيمان والكفــر، بــين عبــادة الله وتوحيده والإيمان بألوهيته وربوبيته وبــين عبــادة الطاغوت والأنداد والأصنام، والاعتقــاد بمالكيتهــا للرزق والمغفرة والشفاعة والنفع والضر.

فاستدلال الوهابيين بهذه الآيات– على حرمة نداء الأنبياء والأولياء والاســتغاثة بهــم– يــدعو إلــى الاستغراب والتعجب، نظراً لعدم علاقتها بهذه المسألة إطلاقا.

الشبهة الثانية: يحتج الوهابيون على طلب المدد، ويسندون اعتراضهم وإنكارهم بالحديث الــذى روى

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

فى سنن الترمذى، قال ﷺ: (إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا اســتعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعــت علــى أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لــك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء، لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك، رفعــت الأقــلام وجفــت الصحف).

وللرد على هذه الشبهة نقول:

أولاً.. المقصود بالحديث النهى عن الغفلة برؤيــة الأسباب تفعل.

ثانياً.. معنى الحديث: إذا سألت مــسئولاً ســؤالاً فاسأل الله أن يوفقه للإجابة، وإذا استعنت بمــستعان فاسأل الله أن يعينه، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (النحل: ٤٣). ولقولــه تعــالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (المائدة: ٢)، أى: أن بالحديث كلام محذوف، يفهمه العرب أهــل البلاغــة واللغة.

ثالثاً.. الحديث أثبت للأمة النفع والضر ولكن بإذن

الله، وهو ما لا يتعارض مع المدد الذى ذكرناه.

رابعاً.. هذا الحديث لا يدل على عدم جواز التعامل مع الأنبياء والأولياء بطلب العلم العرفانى بواسطة ما أمدهم الله تعالى، إنما يدل على الأفضل والأكمل بالنسبة إلى الأصفياء الذين وصلوا إلى درجة كمال الإيمان، وهو أن يسأل أمثالهم الله لا غير فى كل الأمور التى قد تعترض حياتهم، فالحديث للخاصة وليس للعامة، والدليل على ذلك ما جاء فى مسند الإمام أحمد ج٤/ ص٣٣٤ قال ابن الفراسى، أن والده الفراسى- وهو صحابى- كان محتاجاً للمال، فجاء يسأل النبى ﷺ هل يسأل الناس مالاً، وهو ﷺ يعلم علم اليقين أن الرزاق هو الله تعالى، وإنما عمل بما لا ينافى الإيمان من تعاطى الأسباب الدنيوية، فقال لرسول الله ﷺ: أسأل؟ قال النبى ﷺ: (لا، وإن كنت سائلاً لابد فاسأل الصالحين).

وجواب النبى ﷺ: (لا) يدل على الأصل الوارد فى الحديث الأول، وهو: (إذا سألت فاسأل الله)، ثم أشار ﷺ إلى من لم يصل بعد إلى مقام التسليم والتوكل، وأرشده إلى الصواب بقوله ﷺ: (وإن كنت

سائلاً لابد، فاسأل الصالحين).

يقول الإمام المجدد أبو العزائم رضي الله عنه:

وإن كان أهل الجهل لم يتوسلوا
بميت ولكن مالهم برهان

توسل بمحبوب إلى الله موقنا
بنيل العطايا يمنح الحنان

ولا تلتفت للمنكرين إذا ادعوا
عليك بشرك فالهوى خسران

يلبيك رب العرش عند سؤاله
بصفوته والمنعم الديان

إذا كان جبريل الأمين بحجة
دعا المصطفى فى قوله برهان

ألا انزل على قبر الكليم وصل يا
ضيا الأنبيا والأمر فيه بيان

وفى بيت لحم فانزلن صل داعيا
وهل بعد هذا حجة برهان

وختاما:

ذكر فضيلة السيد محمد زكى إبراهيم فى كتاب (قضايا الوسيلة والقبور) قصة تقول: وقد شاعت فى الناس قصة هذا المتمسلف الوقح، الذى أتى إلى الناقة وقد بركت على ركبتيها، فقال لها: (بحق النبى تقومى، حلفتك بالنبى، توسلت إليك به.. إلخ) فلم تنهض، فأخذ عصاه وضربها بقوة فنهضت.. فنظر إلى من معه، وقال: هكذا تكون العصا فى يدى، أنفع من محمد فى قبره، فكيف تتوسلون به؟!.

ونقول لكبير كهنة المعبد الوهابى الذى فعل ذلك: أقسم عليها بالله ألف مرة متوسلا، فلن تقوم، واضربها بالعصا ستقوم، وعندها قل: إن عصاك أنفع من الله.. نستغفره ونتوب إليه من فعل هذا الجاهل، الذى لو رآه أبو جهل الأول لاستحى منه.. لأن قانون اتخاذ الأسباب لا يمكن إنكاره عند أصحاب العقول، أما أهل التسليم والتفويض فيعلمون يقيناً أن قيام الناقة بحق النبى ﷺ جائز.. ولا حرج فيه.

الفصل التاسع

التبرك والاستشفاء بالصالحين

يتعين علينا أن نعلم أن التبرك ليس إلا توسل إلى الله سبحانه وتعالى بذلك المتبرك به، سواء كان شخصاً أو أثراً أو مكاناً.

– أما الأشخاص فلاعتقاد فضلهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى، مع اعتقاد عجزهم عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

– وأما الآثار فلأنها منسوبة إلى هؤلاء الأشخاص فهى مشرفة بشرفهم، ومكرمة ومعظمة محبوبة لأجلهم.

وأما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هى أمكنة، وإنما لما يحل فيها ويقع من خير وبر كالصلاة والصيام وجميع العبادات مما يقوم به عباد الله الصالحين، إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة، وهذه هى البركة التى تطلب من الله فى الأماكن المقصودة لذلك.

وهذه البركة تطلب للتعرض لها فى أماكنها بالتوجه إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره، وتذكر ما وقع فى تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة، تحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح.

وتعتقد الوهابية بأن التبرك بآثار أولياء الله شرك بالله، وتعتبر الذى يُقبّل محراب رسول الله ﷺ وآله ومنبره مشركاً وإن لم يأت بذلك بنية العبادة، بل كانت المحبة والمودة تجاه النبى الكريم هى الدافع له إلى التبرك والاستشفاء بآثاره ﷺ وآله.

إن المنع من التبرك بآثار الرسول الأكرم وتقبيل ضريحه المقدس ومنبره الشريف هو من أشد الإجراءات التى يتخذها الوهابيون ضد المسلمين، وقد استخدموا مجموعة من الشرطة الإرهابيين من البدو الأجلاف باسم (الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر!!) ووزعوهم فى مسجد رسول الله ﷺ للحيلولة دون تقبيل ضريحه المقدس ومنبره الشريف ومحراب مسجده المبارك، وهؤلاء الوهابيون يستدبرون الروضة الشريفة بأقفيتهم ويواجهون

المسلمين الحجاج بكل خشونة وصلافة ويمنعونهم عن التبرك والتقبيل، وطالما أمسكوا بأيديهم العصا أو الأسلاك الغليظة، وطالما أراقوا- فى هذا السبيل- دماء الأبرياء وهتكوا الأعراض والنواميس فى حرم النبى -ﷺ وآله- زعماً منهم أن التبرك والتقبيل عبادة لصاحب الروضة الشريفة.

إن هؤلاء الغرباء عن الإسلام أخطأوا فى فهم العبادة ومفهومها، ولهذا تاهوا فى متاهات الضلال والباطل، فاعتبروا كل احترام للميت عبادة له، مع العلم أن تقبيل الضريح المقدس والتبرك بالآثار النبوية إنما هو سبيل الله سبحانه، لأن المسلمين لا يكرمون النبى الأكرم ولا يتبركون به وبآثاره إلا لأنه رسولُ الله ونبيُّه الحبيب المصطفى، الذى شرفه الله على كل الأنبياء والمرسلين، وفضله على الخلق أجمعين، فكل تكريم وتعظيم للأنبياء أو لأولياء الله إنما هو تعظيم لله سبحانه، وليست حقيقة التوحيد إلا أن يكون كل شئ لله ومن أجله وفى سبيله، وعند ذلك يكون الله هو المبدأ كما يكون هو المنتهى.

وسوف نتحدث فى الكتاب القادم عن العبادة

ومفهومها بالضبط والتحقيق.

أما حديثنا اليوم فهو بخصوص مسألة البحث عن التبرك بآثار الصالحين، لــذلك يجــب أن نعــرض المسألة على كتاب الله وسنة رسوله- ﷺ - وآله كى يتجلى الحق بأجلى مظاهره.

وسوف نكتفى من القرآن الكريم بآية واحدة، وهى عن لسان النبى يوسف عليه السلام:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَــأْتِ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٣). إن النبــى يوســف أرســل قميصه إلى أبيه، وقال لإخوانه: إذهبوا بقميصى هذا وألقوه على وجهه حتى يعود إليه بصره.

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٦).

فهذه الآية صريحة بجواز التبرك بآثار النبى حتى لنبى آخر، فهذا النبى يعقوب يتبرك بقمــيص النبــى يوسف عليهما السلام، ومن الواضح أن الشفاء من الله سبحانه، فهو المؤثر فــى الأشــياء، إلا أن التبــرك بالقميص صار وسيلة للشفاء، كما يكون الدواء كذلك بإذن الله تعالى.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

يا ترى.. إذا كان تبرك النبى يعقوب بقميص ابنه يوسف يقع أمام النجديين وأتباع محمد بن عبد الوهاب ماذا كانوا يحكمون عليه؟ بالكفر؟ بالشرك؟ بالــذنب؟ وهو النبى المعصوم عن الخطأ والاشتباه!.

إن تبرك المسلمين بــضريح رســول الله وآلــه الطاهرين وبآثارهم، لا يختلف عن تبرك النبى يعقوب بقميص ابنه يوسف عليهما السلام.

وإن نظرة خاطفة فى سيرة المسلمين- بدءاً مــن الصحابة وإلى هذا اليوم- تكشف لنا عن السنة المتبعة لديهم تجاه التبرك بالنبى ﷺ وآثاره الشريفة طــوال التاريخ، والأحاديث التى أمر فيها ﷺ بــالتبرك بــه بلغت حد التواتر، وقد أقر عليها ﷺ أصحابه، وقــد انعقد الإجماع على أنه ﷺ لا يقر على باطل، فمــن هذه الأحاديث التى أمر فيها بالتبرك به:

عن طلق بن على قال: خرجنا وفداً إلى رسول الله ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا، فاستوهبناه من فضل طهوره بماء، فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا فى إداوة، وأمرنا فقال: (اخرجــوا فــإذا أتيتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهــذا

الماء واتخذوها مسجدا) قلنا: إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف، قال: (مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيباً) هذا الحديث رواه النسائى فى كتاب المساجد، والتبريزى فى المشكاة رقم ٧١٦، والطبرانى فى الكبير جـ٨ ص ٢٩٩، وهذا الحديث من الأصول المعتبرة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرك برسول الله وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه، فإنه ﷺ أخذ وضوءه ثم جعله فى إناء، ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم، وتحقيقاً لمرادهم، فلابد أن هناك سراً قوياً متمكناً فى نفوسهم دفعهم إلى طلب هذا الماء بخصوصه والمدينة مملوءة بالمياه.

بل وبلادهم مملوءة بالماء، فلم هذا التعب والتكلف فى حمل قليل من الماء من بلد إلى بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس؟!.

نعم، كل ذلك لم يهمهم لأن المعنى الذى يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة، ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه ﷺ، وهو لا يوجد فى بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم، بل ويتأكد لهم رضاه ﷺ، عن فعلهم بجوابه لهم- لما قالوا: إن

الماء ينشف لشدة الحر- إذ قال لهم: (مدوه من الماء)، فبين لهم أن بركته التى حلت فى الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهى مستمرة متصلة.
ولمزيد بيان نفصل التبرك بالنبى إلى قسمين:

الأول، التبرك بالنبى ﷺ وآله.

والقسم الثانى، هو التبرك بآثاره ﷺ وآله.

أما عن القسم الأول فنقول:

أولاً: التبرك بعرقه الشريف ﷺ وآله:

من الأحاديث التى أذن فيها ﷺ بالتبرك به ما رواه مسلم فى كتاب الفضائل فى باب طيب عرقه ﷺ بالتبرك به، عن أنس بن مالك قال: كان النبى ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه، قال: فجاء ذات يوم فنام على فراشها وأتت فقيل لها: هذا النبى نائم فى بيتك على فراشك، قال: فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش، ففتحت عتيدتها- والعتيدة هى: الصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها- فجعلت تنشف ذلك العرق وتعتصره فى قواريرها، ففزع النبى ﷺ

فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا، قال: أصبت.

ثانياً: التبرك بتقبيل يدى النبى- ﷺ وآله- ورجليه

روى أبو داود عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان فى سرية من سرايا رسول الله ﷺ، قال: فحاص النبى حيصة فكنت فيمن حاص، قال: فلما برزنا قلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟ فقلنا: ندخل المدينة فنتثبت فيها ونذهب لا يرانا أحد، قال: فدخلنا فقلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ، فإن كانت لنا توبة أقمنا، وإن كان غير ذلك ذهبنا، قال: فجلسنا لرسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر، فلما خرج قمنا إليه فقلنا: نحن الفرارون، فأقبل إلينا فقال: (بل أنتم العكارون) قال: فدنونا فقبلنا يده، فقال: (أنا فئة المسلمين) هذا الحديث رواه أيضاً البخارى فى الأدب المفرد باب تقبيل اليد.

وروى أبو داود ج٢ ص٦٤٧ عن أم أبَّان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع- وكان فى وفد عبد

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

القيس- قال: لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله ﷺ ورجله، قال: وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبه ثم أتى النبى ﷺ، فقال له: (إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة، قال: يا رسول الله، أنا أتخلق بهما أم الله جبلنى عليهما؟ قال: بل الله جبلك عليهما، قال: الحمد الله الذى جبلنى على خلتين يحبهما الله ورسوله) وهذا الحديث رواه أيضاً مسلم، والترمذى، وابن ماجة، وأحمد.

ثالثاً: التبرك بسؤر النبى ﷺ وآله:

روى الشيخان والإمام مالك فى الموطأ، واللفظ للبخارى عن سهل بن سعد ﷺ قال: أتى النبى ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: (يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ؟) قال: ما كنت لأوثر بنصيبى منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه.

وروى أبو داود ج١ ص٥٢٧، ومسلم فى كتاب الصيام الحديث رقم ١٥٤، عن أم هانئ قالت: لما

كان يوم فتح مكة جاءت فاطمة فجلست عن يسار رسول الله ﷺ وأم هانئ عن يمينه، قالت: فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته، فشرب منه ثم ناوله أم هانئ فشربت منه فقالت: يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة فقال لها: (أكنت تقضين شيئا؟) قالت: لا، قال: (فلا يضرك إن كان تطوعا). رواه الترمذى، ورواه أبو داود فى مسنده عن شعبة وحماد بن سلمة وفيه: أما أنى كنت صائمة ولكن كرهت أن أرد سؤرك، ورواه الإمام أحمد بهذه الزيادة أيضاً، ورواه الدارمى نحو ما روى أبو داود. ورواه الطبرانى كما فى المجمع ج٣ ص١٥٩.

رابعاً: التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ:

روى الإمام أحمد عن أنس ؓ أن النبى ﷺ دخل على أم سليم وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها- أى من فم القربة- وهو نائم، قال: أنس: فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا).

والمعنى: أن أم سليم قطعت فم القربة الذى هو موضع شربه ﷺ واحتفظت به فى بيتها للتبرك بأثر

النبى ﷺ، ورواه الطبرانى وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله رجال الصحيح.

وروى أبو داود فى مسنده ج٢ ص١٢٥ عن أم سليم قالت: رأيت رسول الله ﷺ شرب من فى قربة فقطعتها، وقلت: لا يشرب منها أحد بعده. وهذا الحديث أيضاً رواه الترمذى فى الشمائل، وابن ماجة فى سننه.

خامساً: التبرك بفضل وضوئه ﷺ وآله:

روى الستة واللفظ للبخارى فى الصلاة فى الثوب الأحمر، عن أبى جحيفة ؓ قال: (رأيت رسول الله ﷺ فى قبة حمراء أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ﷺ، ورأيت الناس يبتدرون ذلك الوضوء، فمن أصاب منه شيئاً تمسح به، ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يد صاحبه) وروى البخارى فى كتاب الأشربة فى باب البركة والماء المبارك عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قد رأيتنى مع النبى ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فأتى النبى ﷺ به وأدخل يده فيه وفرج

أصابعه ثم قال: (حى على الوضوء، البركة من الله) فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا، فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه، فأيقنت أنه بركة.

قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفا وأربعمائة.

سادساً: التبرك بشعر النبى ﷺ وآله:

روى مسلم عن أنس قال: (لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل).

وروى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره.

وروى البخارى عن ابن سيرين قال: قلت لعبيدة ابن عمر أحد كبار التابعين المخضرمين – أسلم قبل وفاته ﷺ ولم يره– وعندنا من شعر النبى ﷺ ما أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس، فقال: لئن تكن عندى شعرة منه أحب إلَىَّ من الدنيا وما فيها.

سابعاً: التبرك بلباس النبى- ﷺ وآله- والاستشفاء به:

عن أسماء بنت أبى بكر: أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج، وقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها، وكان النبى ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها.. هذا الحديث رواه مسلم فى كتاب اللباس والزينة ص٣، الحديث رقم (١٠).

وذكر الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب أن سعدان بن الوليد السامرى روى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: (إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبر بى منها، إنما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت ليهون عليها).

القسم الثانى.. مظاهر التبرك بآثار النبى ﷺ وآله

أولاً: التبرك بآنية النبى ﷺ وآله:

عن أبى بردة قال: قدمت المدينة فلقينى عبد الله بن سلام فقال لى: انطلق إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلى فى مسجد صلى فيه النبى ﷺ، فانطلقت معه فسقانى وأطعمنى تمراً وصليت فى مسجده.. هذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

ثانياً: التبرك بموضع قدم النبى ﷺ وآله:

جاء فى الحديث عن أبى مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين، ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء، ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه، وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ. (هذا الحديث رواه النسائى جـ٣ ص ٢٤٣).

ثالثاً: التبرك بمنبر النبى ﷺ وآله:

قال القاضى عياض فى الشفا: رؤى ابن عمر

رضى الله عنهما واضعا يده على مقعد النبى ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه.

وعن أبى قسيط والعتبى كان أصحاب رسول الله -ﷺ وآله- إذا خلا المسجد حسوا على رمانة المنبر التى تلى القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون.

قال الملا على قارى شارح الشفا رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى (جـ٣ ص ٥١٨).

وروى ذلك ابن تيمية أيضا فى اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧ عن الإمام أحمد وأنه رخص فى التمسح بالمنبر والرمانة، وذكر أن ابن عمر وسعيد ابن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك.

رابعاً: التبرك بقطيفة وبثوب النبى ﷺ:

روى ابن أبى شيبة فى مسنده قال: حدثنا محمد بن بشر أخبرنا أيوب بن النجار أخبرنا أبو عبد الله الجنينى عن جده المزنى أنه كانت عنده قطيفة رسول الله ﷺ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فأتاه بها فى أديم، فجعل يمسح بها وجهه لبركتها.

وروى الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد- ج١ ص٢٦٤- عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه حدث عن عروة بن الزبير أن ثوب رسول الله ﷺ الذى كان خرج فيه للوفد رداؤه ثوب حضرمى طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر، وهو عند الخلفاء قد أخلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى.

خامساً: التبرك بنعل النبى ﷺ وآله:

قال الحافظ ابن حجر فى الإصابة ج٢ ص٧٢: كانت قلادة نعل النبى ﷺ عند أحفاد الصحابى سليمان السلمى، ومات آخرهم دون وارث سنة خمس وعشرين وستمائة، وأخذ الأشرف بن العادل موجوده فجعله فى أوقاف المدرسة الأشرفية بدمشق، قلت: ومن جملتها النعل المذكورة. وقد ذكرها الذهبى وغيره، ويعبرون عنها بالأثر الشريف، انتهى كلام الحافظ ابن حجر.

فأنت أيها القارئ ترى حرص أهل المدينة قديماً على الاحتفاظ بنعل النبى ﷺ واحتذاء حذوها،

واحتفاظ أبناء ذلك الصحابى بقلادة النعل الشريفة مدة تزيد على ستة قرون، وارتضاء علماء الأمة لذلك ونقلهم له فى مصنفاتهم وتعظيمهم لها، إذ كانوا يسمونها الأثر الشريف.

سادساً: التبرك بروضة النبى ﷺ وآله:

قال الحافظ العراقى أخبرنى الحافظ أبو سعيد العلائى قال: رأيت فى كلام ولد أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبى ﷺ وتقبيل غيره، فقال: لا بأس بذلك، فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندى أحمد جليل يقول هذا؟ قال: وأى عجب فى ذلك.

وفى كتاب العلل والسؤلات لعبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبى ﷺ يتبرك بمسه ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، قال: لا بأس به.

وفى وفاء الوفا للعلامة السمهودى ص ١٤٠٥ أن ابن عساكر روى من تحفته من طريق طاهر بن

يحيى الحسينى بسنده إلى على ﷺ قال: لما رمس رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على قبره ﷺ، وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد

ألا يشم مدى الزمان غواليا

صُبت علىَّ مصائب لو أنها

صُبت على الأيام صرن لياليا

إن هذا التصرف من السيدة الزهراء لا يدل إلا على جواز التبرك بروضة رسول الله وتربته الطاهرة.

وفى أسد الغابة لابن الأثير جـ١ ص٢٨: أن بلالاً مؤذن رسول الله أقام فى الشام فى عهد عمر بن الخطاب فرأى فى منامه النبى ﷺ وآله وهو يقول له: (ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورنى يا بلال؟)

فانتبه حزيناً وجلاً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى روضة النبى ﷺ وآله فجعل يبكى

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

عندها ويمرغ وجهه عليها، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام فجعل يضمهما ويقبلهما.. إلى آخر الخبر.

وروى المتقى الهندى فى كنز العمال جـ٢ ص ٢٤٨، والسمهودى فى الوفا جـ٢، ص١٣٦١، عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه قال: إن أعرابياً قدم علينا بعد ما دفنا رسول الله ﷺ وآله بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر النبى، وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله سبحانه فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك..﴾ وقد ظلمت وجئتك تستغفر لى. فنودى من القبر: (قد غفر لك).

سابعاً: التبرك بتراب المدينة المنورة:

ورد فى الصحيحين البخارى ومسلم وأخرج أبو داود وابن ماجة وأحمد حديث: (كان النبى ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم

رفعها وقال: (بسم الله تربة أرضنا، بريق بعضنا، يشفى سقيمنا بإذن ربنا).

لعل البعض يقول: لقد اتفقنا على جواز التبرك بالنبى ﷺ وبآثاره، فما دخل التبرك بالأولياء والصالحين بذلك؟.

وللجواب على هذا السؤال نذكر عدة أمثلة على جواز التبرك بالأولياء والصالحين، وبآثارهم، فنقول:

أولاً: التبرك بتقبيل يد الصالحين:

قال القاضى عياض فى الشفا ص٤٩: عن الشعبى قال: صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها، فجاء ابن عباس بركابه، فقال زيد: خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ: فقال: هكذا نفعل بالعلماء، فقبل زيد يد ابن العباس وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

هذا الخبر أورده الحافظ ابن حجر فى الإصابة بصيغة الجزم.

وروى أحمد والطبرانى عن عمير بن إسحاق قال: رأيت أبا هريرة لقى الحسين بن على فقال له: اكشف

عن بطنك حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبل منه، فكشف عن بطنه فقبله.

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن رزين أنه نزل المدينة وهو وأصحابه يريدون الحج، قيل لهم: ها هنا سلمة بن الأكوع صاحب رسول الله ﷺ فأتيناه فسلمنا عليه ثم سألناه، فقال: بايعت رسول الله ﷺ بيدى هذه وأخرج لنا كفه، وقال: قمنا إليه فقبلنا كفه جميعاً.

ورواه البخارى فى الأدب المفرد فى باب تقبيل اليد، وفى مجمع الزوائد للهيثمى جـ٨ ص٤٢ أنه رواه الطبرانى بسند رجاله ثقات.

وروى عبد الرزاق فى الجامع، والخرائطى فى مكارم الأخلاق، وابن عساكر فى التاريخ، والبيهقى فى السنن: عن تميم بن سلمة قال: لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح فصافحه وقبل يده، ثم خلوا يبكيان، فكان تميم يقول: تقبيل اليد سنة.

ثانياً: التبرك بثياب الصالحين:

قال مالك فى من أوصته أمه أن يكفنها فى ثوب

معين: أحب إلىَّ أن يكفن أمه فى الثوب الذى أوصت أن تكفن فيه، قال ابن رشد: قول مالك: (أحب إلـىَّ) ليس على ظاهره، بل هو الواجب عليه إذا أوصـت بذلك تبركاً لأنها حجت فيـه أو كانـت تـشهد بـه الصلوات، لأن من أوصى بقربـة وجـب أن تنفـذ وصيته، وقال ابن بطـال: ينبغـى التبـرك بثيـاب الصالحين.

ثالثاً: التبرك بصحيح البخارى:

قال الحافظ ابن حجر فى مقدمة فتح البـارى ج١ ص٢٤: ذكر الإمام القدوة أبو محمد بن أبى جمرة فى اختصاره للبخارى قال: قال لى من لقيته من العارفين عمن لقى من الـسادة المقـر بالفـضل أن صـحيح البخارى ما قرىء فى شدة إلا فرجت، ولا ركب بـه فى مركب فغرق.

وقال الشيخ اللكنوى فى مقدمة تحفـة الأحـوذى ص١١٦: قال الحافظ ابن كثير: وكتـاب البخـارى الصحيح يستسقى بقراءته الغمام، وأجمع على قبولـه وصحته أهل الإسلام.

رابعاً: التبرك بمس روضة الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

ذكر العلامة المحدث زاهد الكوثرى فى مقالاتـه ص٣٧٦ أنه قرأ فى كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسى الحنبلى أنه سمع الحافظ عبد الغنـى المقدسى يقول: إنه خرج فى عضده شئ يشبه الدمل فأعيته مداواته فمسح به قبر الإمام أحمد فبرىء ولـم يعد إليه.

والكتاب المذكور بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت، وهو بظاهرية دمشق برقم ٩٨.

والخلاصة: إن من يراجع كتب الصحاح والـسنن والمسانيد والتواريخ، يرى أن الـصحابة والتـابعين كانوا يتبركون بكل مـا يـرتبط بـالنبى ﷺ وآلـه ويستشفعون بروضه بوضع الخد عليها، وشم تربته، والبكاء عنده، بل والتبرك بعصاه وملابسه، والصلاة فى الأماكن التى صلى فيها النبى - ﷺ - وآلـه أو مشى فيها.

وهذه الروايات على حد من الكثرة والتواتر بحيث

يستحيل عند العقل أن تكون موضوعة ومجعولة، وكيف تكون كذلك وقد رواها الشيخان: البخارى ومسلم، وغيرهما من أعلام الحديث.

فماذا تقول الوهابية تجاه هذه الأحاديث المتواترة لفظا ومعنى؟.

وما هو موقفهم من هذه الحقيقة الساطعة؟!.

ولماذا هذه الضجة العمياء التى تثيرها حول التبرك بضريح رسول الله- ﷺ وآله- والذى جرت عليه سيرة السلف من الصحابة والتابعين، دون أن يروا أى استنكار أو استقباح أو منع أو تحريم من النبى- ﷺ وآله- أو من حوله من الصحابة؟!

ولماذا لا يتركون المسلمين ليقبلوا ضريح رسول الله- ﷺ وآله- ويتبركوا به، ويعبروا عن مشاعرهم وعواطفهم تجاه نبى الله؟!.

ولماذا تسمح الوهابية بطباعة وبيع كتاب: (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة)، وتمنع الكتب الأخرى التى تتحدث عن ضرائح غير الحنابلة، أم أن الحنابلة من جنس آخر يختلف عن باقى الأمة ؟!!.

أفلا يعلمون أن النهى عن التبرك بالضريح النبوى

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الطاهر وآثار رسول الله كان من دأب الأمويين لاسيما مروان بن الحكم.

تعال واقرأ أخى الكريم ما يرويه الحاكم فى المستدرك عن داود بن صالح، قال: (أقبل مروان فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته ثم قال: هل تدرى ما تصنع؟.

فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى فقال: نعم إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله ولم آت الحجر، سمعت رسول الله يقول: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن أبكوا على الدين إذا وليه غيرُ أهله).

إن هذا الحديث يعطينا خُبراً بأن المنع عن التوسل بالروضات الطاهرة إنما هو من بدع الأمويين وضلالاتهم، منذ عهد الصحابة، ولم تسمع أذن الدنيا قط صحابيا ينكر ذلك، غير- وليد بيت أمية- مروان بن الحكم).

وترى أن أبا أيوب الأنصارى يرد على مروان- لمّا قال له: هل تدرى ما تصنع؟- بقوله: نعم إنى لم آت الحجر، إنما جئت رسول الله ولم آت الحجر..

أى: إن الهدف من التوسل والتبرك هو رسول الله- ﷺ وآله- الذى نعتقد بعدم الفرق بين حياته وانتقاله- من هذه الجهة- وإلا فالتراب والحجر لا قيمة لهما، إلا أن الحجر والتراب حول روضة رسول الله- ﷺ وآله- قد اكتسبا القيمة والشرف بذلك.

أيها القارئ الكريم: إن البخارى قد عقد فى صحيحه- الذى يعتبر أصح الكتب عند أهل السنة- باباً سمّاه: باب ما ذكر من درع النبى ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك- مما لم يذكر قسمته- ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

فإذا وقف الوهابى على هذه الأحاديث الهائلة- التى تجاوزت المائة- فلا مناص له من قبول الحق والاعتراف به، إن كان ممن يستمع القول فيتبع أحسنه، وإلا فإن يوم الفصل كان ميقاتا.

وفى الختام نوجه سؤالاً للوهابية وذيولها:

ما حكم من حكم بالكفر على من مسّ وقبَّل آثار الأنبياء والأولياء؟.

أنت أيها القارئ الكريم ترى أن أجلاء العلماء قد أباحوا مسّ روضات الأنبياء والأولياء وتقبيلها، فأين هذا من الكفر الذى تدعيه الوهابية والشرك الذى يصفون به الناس؟ إن فى ذلك خروجهم عن نهج الشريعة الإسلامية، وخرقاً لقواعدها التى أجمع عليها المسلمون من عهد الرسول ﷺ إلى اليوم، فمن المعلوم أن للمنهيات درجات كما أن للمأمورات درجات، فالخروج بمنهى من درجته إلى درجة أخرى خرق للشريعة وقلة فهم مقاصدها الأساسية، فلو لم ير العلماء أن المس والتقبيل أمر سهل قريب لما اختلفوا فيه بين الكراهة والجواز، بل والاستحباب كما يفهم من كلام الإمام أحمد، فإذا جاء من جاء، وقال: إن هذا الأمر الذى كرهه البعض وأجازه البعض، ليس مكروهاً ولا حراماً وإنما هو كفر ومن جنس الشرك، فإنا نرد عليه قوله ونقول: إنه قد خرق الإجماع وهدم الشريعة، لأنه جعل كماليات الشريعة

وتحسيناتها وآدابها أساساً من أسسها فقلب الوضع وشذ عن الجماعة.

لاشك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم للأنبياء والأولياء، والناس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته ﷺ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ﷺ، وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير.

وختاماً: يقول السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضي الله عنه فى كتابه (أيها القرنيون هلا فقهتم): إن روضات الأنبياء والأولياء وأحبابهم روضات جنان يتبرك بها، أما قبور الوهابية وذيولهم فهى حفائر نيران يصطلى بها.

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

الفصل العاشر

اعتقاد القدرة الغيبية للصالحين

مما لاشك فيه أن الإنسان لا يطلب حاجته من أحد إلا إذا تأكد من قدرة ذاك على قضاء حاجته وتلبية طلبه.

وهذه القدرة على قسمين:

الأول: القدرة المادية الظاهرية، بأن تطلب الماء من إنسان، فيملأ لك الإناء ماء ويناولك.

الثانى: القدرة الغيبية المستقلة عن المادة، والخارجة عن المجارى الطبيعية، كأن يعتقد الإنسان- مثلاً- بأن الإمام علىَّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قادر على قلع باب خيبر -الذى يعجز الإنسان عن قلعه عادة- بقوة غيبية تتفوق على قدرة البشر.

أو يعتقد بأن النبى عيسى عليه السلام قادر بدعائه على شفاء المريض الذى صعب علاجه، من دون استعمال دواء أو إجراء عملية جراحية.

إذا عرفت هذا.. فاعلم أن الاعتقاد بهذه القدرة

الغيبية- إذا كان مستنداً إلى قدرة الله وإذنه وإرادته- هو كالاعتقاد بالقدرة المادية الطبيعية، وليس شركاً بالله سبحانه، لأن الله الذى وهب القدرة المادية لشخص قادر أن يهب القدرة الغيبية لشخص آخر، دون الاعتقاد بكون المخلوق خالقاً أو مستغنياً عن الله تعالى.

ويعتقد الوهابيون بأنه لو طلب إنسان حاجة من أحد أولياء الله- حياً كان أم منتقلاً- كأن يشفى مريضه، أو يعيد عليه مفقوده، أو يقضى ديونه أو غير ذلك، فقد آمن بوجود قدرة غيبية عند من دعاه وسأله، بحيث يستطيع أن يخرق بها القوانين الطبيعية الحاكمة فى هذا الكون، والاعتقاد بهذه القدرة لغير الله إعتقاد بألوهية ذلك الغير، وطلب الحاجة منه مع هذا الاعتقاد شرك بالله سبحانه.

مثال ذلك: لو طلب الإنسان- العطشان فى الصحراء- ماء من خادمه، فإن طلبه هذا ليس طلباً لخرق القوانين الطبيعية، فهو جائز وليس شركاً.

أما لو طلب نفس هذا الطلب من نبى أو إمام يرقد تحت التراب، أو يعيش فى بلدة أخرى ومكان آخر،

أو كان غائباً عن الأبصار، فقد أشرك بالله تعالى، لأنه يعتقد بأن ذلك النبى أو الإمام يستطيع أن يهيئ الماء، خارج نطاق القوانين والأسباب الطبيعية، أى: بالقدرة الغيبية، وهذا اعتقاد بألوهية ذلك المدعو: النبى أو الإمام.

وقد صرح بهذا الرأى الكاتب الوهابى (أبو الأعلى المودودى) حيث قال فى كتابه (المصطلحات الأربعة) ص١٨:

(إن التصور الذى لأجله يدعو الإنسان الإله ويستغيثه ويتضرع إليه هو- لاجَرَم- تصوُّر كونه مالكاً للسلطة المهيمنة على قوانين الطبيعية).

وللرد على هذا الكلام نقول:

إن الخطأ الذى ارتكبه المودودى- ونظراؤه- هو أنه تصوَّر بأن الاعتقاد بالسلطة الغيبية لغير الله شرك به سبحانه مطلقاً، ولم يفرق- أو لم يرد أن يفرق- بين الاعتقاد بالقدرة الغيبية المستمدة من الله والمعتمدة عليه، وبين القدرة المستقلة عنه سبحانه، حيث إن الشرك هو الاعتقاد الثانى لا الأول، والأولياء

والأنبياء لا يفعلون الأشياء الخارقة للعادة إلا بأمر من الله تعالى الذى يطلعهم على غيب الشؤون، كما قال العبد الصالح لموسى عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ (الكهف: ٨٢).

ويكشف لنا الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضي الله عنه حقيقة هذا الأمر بجلاء فى كتابه (الصوفية والتصوف) فيقول: (العارف قد يخبر عن الغيب، ويدل على إمكانه وجوه إجمالية:

أحدها: لما رأينا الإنسان قد يعرف الغيب حال المنام، لم يبعد أن يقع مثله فى اليقظة كما هو مدون فى سير الأولياء والصالحين.

ثانيها: حصول ذلك لكثير بيننا فى اليقظة، كحادثة عمر (يا سارية الجبل) وغيرها.

ثالثها: أن الحوادث الأرضية مستندة إلى الحركات السماوية المستندة إلى النفس، التى هى عالمة بالكليات والجزئيات، فتلك النفس هى السبب لهذه الحوادث الأرضية، فيلزم من عملها بذاتها علمها بجميع هذه الحوادث، لما ثبت أن العلم بالسبب يقتضى العلم بالمسبب، ثم دلنا على أن النفس الناطقة جوهر مجرد،

لها أن تنتقش بما فى العالم النفسانى من النفس، بحسب الاستعداد، وزوال الحائل، فلا يبعد أن يكون بعض الغيب ينتقش فيه من ذلك العالم).

أيها القارئ الكريم: إن القرآن الكريم يذكر- بصراحة تامة- أسماء أشخاص كانت لهم القدرة الغيبية، وكانت إرادتهم تتحكم على قوانين الطبيعة وتغيِّر مجراها.

وإليك أسماء بعض من أشار إليهم القرآن:

أولاً- القدرة الغيبية للنبى يوسف عليه السلام:

قال سيدنا يوسف عليه السلام لإخوته:

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٣).

﴿ ...فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ (يوسف: ٩٦).

إن ظاهر هذه الآية يدل على أن النبى يعقوب عليه السلام استعاد بصره الكامل بالقدرة الغيبية التى استخدمها سيدنا يوسف عليه السلام من أجل ذلك، ومن الواضح أن استعادة سيدنا يعقوب بصره لم يكن من

الله بصورة مباشرة، بل تحققت بإذنه سبحانه بواسطة النبى يوسف عليه السلام.

إن النبى يوسف كان السبب فى عودة بصر أبيه كاملة، ولولا ذلك لما أمر إخوانه بأن يذهبوا بقميصه ويلقوه على وجه أبيه، بل كان يكفى أن يدعو الله تعالى لذلك فقط.

إن هذا تصرف غيبى صدر من أحد أولياء الله- سيدنا يوسف- وغير المجرى الطبيعى بإذنه سبحانه، ولا يقدر على التصرف إلا من منحه الله السلطة الغيبية.

ثانياً- القدرة الغيبية للنبى موسى عليه السلام:

لقد منح الله سبحانه القدرة الغيبية للنبى موسى عليه السلام فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، بعدد قبائل بنى إسرائيل، كما قال سبحانه:

﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (البقرة: ٦٠)

واستخدم سيدنا موسى عليه السلام قدرته الغيبية مرة

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

أخرى عندما ضرب بعصاه البحر ليفتح- فى عمق البحر وعلى أرضه- اثنتى عشر طريقاً يابساً لبنى إسرائيل، كى يمروا فيه ويعبروا البحر، فتراكمت المياه كالجبال على أطراف هذه الطرق من دون أن تتدحرج قطرة منها فى الطريق!.

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ البَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ (الشعراء: ٦٣).

فى هذين الموقفين لا يمكن أن نتجاهل دور النبى موسى عليه السلام فى تفجير العيون وفتح الطرق على أرض البحر، وأنه استفاد من قدرته الغيبية، فتحقق كل ذلك بإذن الله وإرادته سبحانه.

ثالثاً- السلطة الغيبية للنبى سليمان عليه السلام:

لقد كان النبى سليمان عليه السلام يتمتع بقدرات غيبية متعددة، وقد عبر عن تلك المواهب والمنح الإلهية العظيمة بقوله- كما فى القرآن الكريم-: ﴿وأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ١٦).

وقد جاء تفصيل الحديث عن تلك المواهب

والقدرات الإلهية الممنوحة له، فى كل من سورة النمل من الآية ١٦ إلى ٤٤، وسورة سبأ آية ١٢، وسورة الأنبياء آية ٨١، وسورة ص من الآية ٣٦ إلى ٤٠.

إن التأمل فى هذه الآيات يكشف لنا عن جانب من المواهب العظيمة والقدرات الغيبية التى منحها الله لعبده ونبيه سليمان عليه السلام، وقبل أن تفتح القرآن لتقرأ الآيات المشار إليها، نذكر لك الآن بعض تلك الآيات، كى تتجلى لك عظمة تلك السلطة الغيبية وترى بعينك أن القرآن الكريم يثبت القدرة الغيبية لبعض عباد الله تعالى.

لقد كانت للنبى سليمان عليه السلام السلطة على الجن والطيور، وكان يعرف منطق الطير ولغات الحشرات، يقول الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا من كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المُبِينُ* وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ* حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ

يَشْعُرُونَ* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ (النمل: ١٦-١٩). إلى آخر الآيات.

أيها القارئ الكريم: ولو قرأت – فى القرآن الحكيم– قصة الهدهد الذى أرسله سيدنا سليمان عليه السلام مبعوثاً إلى ملكة سبأ، حاملاً رسالة منه إليها، لاستولت عليك الدهشة والحيرة من القدرة الغيبية التى كانت له، لهذا نرجو منك التأمل فى الآيات من ٢٠ إلى ٤٤ من سورة النمل، كى تتأكد أكثر من بطلان مذهب الوهابية وتناقضه مع القرآن.

هذا وقد كانت للنبى سليمان– بتصريح القرآن الكريم– السلطة على الريح، تجرى بأمره حيث يشاء، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الأنبياء: ٨١). إن ما يلفت الانتباه– فى هذه الآية– هو قوله سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ حيث يدل على سلطة سليمان الغيبية على الريح، وتحكمه فى مسيرها ومجراها.

رابعاً- النبى عيسى عليه السلام والقدرة الغيبية:

يمكننا أن نتعرف على جانب من القدرة الغيبية التى كانت للنبى عيسى عليه السلام من خلال التأمل فى الآيات القرآنية التى تتحدث عنه وعنها، ومنها قوله تعالى- عن لسان عيسى-: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّه وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّه وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٤٩)، لقد تكرر قوله: ﴿بإذن الله﴾ مرتين فى هذه الآية، تأكيداً على أن التصرفات الغيبية التى يقوم بها أولياء الله إنما هى بالاستمداد من قدرة الله تعالى وإرادته، ولهذا ترى سيدنا عيسى عليه السلام يعتبر تصرفاته كلها رهينة بإذن الله تعالى، وهكذا غيره من الأنبياء والأولياء قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ٣٨).

ولكنك ترى فى الوقت نفسه أن النبى عيسى ينسب

كل أعماله الغيبية إلى نفسه الشريفة فيقول: (أخلق) (أنفخ) (أبرئ) (أحى) (أنبئكم) بصيغة المتكلم وحده.

هذا وليس سادتنا الأنبياء يوسف وموسى وعيسى وسليمان عليهم الصلاة والسلام هم فقط الذين كانت لهم القدرات الغيبية، بل هناك مجموعة من الأنبياء الذين كانوا ولا يزالون يملكون تلك القدرة، وهذا البحث يتطلب كتابا مستقلا.

خامساً: الملائكة والقدرة الغيبية:

إن الملائكة يتمتعون بالسلطة الغيبية أيضاً، فهذا القرآن الكريم يصف جبرئيل بقوله: ﴿شديد القوى﴾ (النجم: ٥) ويصف بعض الملائكة بقوله: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ (النازعات: ٥) وغيرهما من الآيات التى تصرح- أو تشير- بأن الملائكة تتولى إدارة شئون العالم، من قبض الأرواح، وحراسة الناس، والمحافظة عليهم، وكتابة الأعمال ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار: ١١)، ومبيدات الأمم الطاغية، وغير ذلك من مسؤوليات هذا الكون.

إن كل من له إلمام بالقرآن الكريم- حتى ولو كان

قليلاً- يعلم بأن للملائكة قدرات غيبية، وأنها تقوم بتصرفات إعجازية بإذن الله وقوته.

فلو كان الاعتقاد بالسلطة الغيبية يستلزم الاعتقاد بالألوهية، لكان كل واحد من الأنبياء والملائكة إلهاً من دون الله سبحانه، وهذا واضح البطلان.

فما هو الحل؟

ما هو الحل والقول الفصل؟.

الجواب: لقد ذكرنا أن الحل والقول الفصل هو فى الفرق والتمييز بين القدرة المستقلة والقدرة المكتسبة، فالاعتقاد بالقدرة المستقلة- لغير الله- يستلزم الشرك به سبحانه، بينما الاعتقاد بالقدرة المكتسبة- فى أى مجال- هو التوحيد بذاته.

إلى هنا تبين لك- أيها القارئ- أن الاعتقاد بالقدرة الغيبية لدى أولياء الله تعالى لن يرافقه الشرك بل هو التوحيد بعينه، بشرط أن تعتبر تلك القدرة مسندة إلى القدرة الأزلية لله تعالى.

كما تبين لك بأنه ليس معنى التوحيد أن تُسند الأفعال الطبيعية إلى الإنسان، وتُسند الأفعال الغيبية

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

إلى الله تعالى، بل إن حقيقة التوحيد هى أن تسند كل الأفعال إليه تعالى، وتعتبر القوى والطاقات والقدرات نابعة منه، وتابعة إليه جل جلاله.

جواز طلب الأعمال الإعجازية من أولياء الله تعالى:

والآن.. آن الأوان كى نتحدث عن الركن الثانى- فى هذا الفصل- وهو جواز طلب الأعمال الإعجازية الغيبية من أولياء الله تعالى.. ونسأل:

- هل يجوز أن تطلب من أحد أولياء الله عملاً إعجازياً؟
- وهل يعتبر هذا الطلب شركاً؟

فى البداية نقول: مما لا يختلف فيه اثنان هو أن (لكل معلول علة، ولكل مسبَّب سبب) فكل شئ لا يمكن أن يكون له وجود إلا بسبب، فالحياة حياة الأسباب والمسببات، وبالتالى: لا توجد فى العالم ظاهرة دون أن يكون لها سبب.

كذلك معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ولا

تحدث بدون سبب، بيد أن السبب ليس سبباً مادياً طبيعياً، بل هو غيبى ما ورائىّ فوق التصور.

فمثلا: إذا تحولت عصا موسى إلى ثعبان، وأحيى عيسى الموتى، وانشق القمر لرسول الله ﷺ وآله، وسبحت حبات الرمال فى يده، وغير ذلك من معجزات الأنبياء.. فإن كل هذه لم تحدث بلا سبب، ولكن السبب- كما قلنا- ليس مادياً ملموساً نراه بأعيننا، لا أنها حدثت بلا سبب أبداً.

بعد هذه الكلمة الخاطفة.. نتحدث الآن عن الموضوع المطروح على بساط التحقيق وهو: طلب الأعمال الاستثنائية والإعجازية من أولياء الله.

إن الوهابية- الضالة المضلة- تدعى أن طلب الأعمال الخارقة للطبيعة شرك بالله سبحانه، ولكن طلب الأعمال المادية الطبيعية ليس كذلك، فما هو رأى الإسلام حول هذا الإدعاء؟

الجواب: هذا القرآن الكريم خير دستور نتحاكم إليه، ترى فى مواضع متعددة منه التصريح بأنه قد طلب من الأنبياء- وغيرهم- القيام بأعمال إعجازية

خارجة عن إطار القوانين الطبيعية المادية.

فمثلا: طلب قوم سيدنا موسى عليه السلام منه أن يوفر لهم الماء والمطر وينقذهم من الجفاف الذى كانوا يعانون منه، وصدر الأمر من الله تعالى بتلبية طلبهم قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ (الأعراف: ١٦٠).

فإن قال قائل: لا مانع من طلب المعجزة من الإنسان الحى، والبحث إنما هو حول الطلب من الميت.

والجواب: إن الحياة والموت لا يغيران حقيقة التوحيد والشرك، بأن يكون الشىء توحيداً فى حال الحياة وشركاً فى حال الممات، أو بالعكس، بل تبقى الحقيقة ثابتة على كل حال.

نعم.. يمكن أن يكون للحياة والموت أثر فى فائدة الطلب أو عدمها، أما حقيقة التوحيد والشرك فلا تؤثران فيهما.

ويحدثنا القرآن الكريم أن النبى سليمان عليه السلام طلب من الحاضرين عنده أن يحضر أحدهم عرش بلقيس،

بقدرة ما ورائية غيبية وخارقة للطبيعة، فقال لهم- كما فى القرآن الكريم-: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ*قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾ (النمل: ٣٨-٤٠).

فإذا صح مذهب الوهابيين- فى حرمة طلب الأعمال الخارقة من أحد إلا الله- لكان طلب النبى سليمان عليه السلام من الحاضرين- بإحضار عرش بلقيس بقوة ما ورائية- كفراً وشركاً!!.

وكان طلب المعجزة ممن يدعى النبوة- فى أى عصر ومصر- كفراً وشركاً، وقد كان الناس يطالبون كل من يدعى النبوة- صادقاً كان أم كاذباً- بالمعجزة الخارقة للطبيعة، دليلاً على صدق دعواه واتصاله بالعالم الأعلى، ولم يطلبوا ذلك من الله الذى بعثه، بل كانوا يقولون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف: ١٠٦).

وهذه عادة كل الشعوب والأمم فى العالم، حيث تريد التمييز بين النبى الصادق والمتنبئ الكاذب، فتطالبه بالمعجزة الدالة على قدرته الغيبية، وكان الأنبياء- بدورهم- يدعون الناس لمشاهدة معجزاتهم الدالة على صدقهم.

وقد سجل القرآن الكريم بعض ما دار بينهم وبين الأمم من حوار حول هذا الموضع، دون أن ينتقدهم على طلبهم المعجزة من الأنبياء، مما يدل على موافقته لهذا الطلب.

ولنذكر مثالاً: لو أن أمة- تبحث عن الحق- جاءت إلى النبى عيسى عليه السلام وقالت له: (إن كنت صادقاً فى دعوى النبوة فأبرئ هذا الأعمى ورد إليه بصره، واشف هذا الأبرص) فإن هذه الأمة لا تعتبر مشركة، بل تعد من الأمم الراقية التى تبحث عن الحقيقة، وتمدح على ذلك.

والآن لو فرضنا وفاة النبى عيسى عليه السلام بالرغم من أنه حى يرزق كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ

مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ (النساء: ١٥٧). وتقول الأحاديث: إن النبى عيسى عليه السلام سوف يعود إلى الأرض بعد ظهور الإمام المهدى المنتظر- عجّل الله ظهوره- ليكون ردءاً له وظهيراً.

ولكن لو فرضنا وفاته.. وطلبت أُمته من روحه الطاهرة أن يبرئ الأكمة والأبرص، فلماذا تعتبر مشركة، مع العلم أن انتقال النبى وحياته لا يؤثران فى التوحيد والشرك؟!.

ألسنا نعتقد جميعاً أن سيدنا موسى عليه السلام ليلة الإسراء والمعراج ردد سيدنا محمداً- صلى الله عليه وآله- عدة مرات لتخفيف الصلاة من خمسين إلى خمس، فهل نفعنا سيدنا موسى عليه السلام بعد انتقاله أم لا ؟!!.

وخلاصة القول: إن القرآن الكريم يصرح بأسماء بعض الأولياء الصالحين الذى اصطفاهم الله ووهبهم القدرة الغيبية لتنفيذ الأعمال الماورائية الخارقة للطبيعة، وكان هؤلاء يستخدمون هذه القدرة فى الأوقات المناسبة، كما كان هناك أشخاص يأتون إليهم

ويطلبون منهم الاستفادة من هذه القدرة.

وهكذا ظهر لك- أيها القارئ الكريم- أن آيات القرآن الكريم صريحة فى رد مذهب الوهابية وإبطال آرائها الشاذة.

فلو قال الوهابيون: إن طلب المعجزة من أولياء الله شرك.

قلنا: لماذا طلب سليمان- وغيره- ذلك؟!.

فإن قالوا: إن طلب الحاجة من أولياء الله – بطريقة إعجازية- يستلزم الاعتقاد بسلطتهم الغيبية.

قلنا: إن الاعتقاد بالسلطة الغيبية على نوعين: أحدهما: توحيد بعينه، والثانى: يستلزم الشرك.

فإن قالوا: إن طلب الكرامات من أولياء الله فى حياتهم جائز، ولكن طلبها من الموتى غير جائز.

قلنا: إن الموت والحياة ليسا ملاكاً للتوحيد والشرك، ولا يغيران حقيقة أحدهما.

فإن قالوا: إن طلب الشفاء للمريض وتسديد الدين- بطريقة غير عادية- هو طلب فعل الله من غير الله.

قلنا: إن شرط الشرك هو أن تعتقد ألوهية من تدعوه أو بكونه مصدراً لأفعال الله بالاستقلال، وأن طلب فعل غير عادى ليس معناه طلب فعل إلهى من غير الله، لأن مقياس أفعال الله ليس هو خروجه عن إطار القوانين الطبيعية، حتى يكون هذا الطلب طلب فعل الله من عبده، كلا.. بل إن مقياس أفعال الله هو أن يكون فاعله مستقلاً فى إنجازه.

أما لو كان فاعله ينجز ذلك الفعل بالاعتماد على قدرة الله تعالى، فإن الطلب منه ليس طلب فعل الله من غير الله. ولا فرق بين أن يكون الفعل عادياً أو غيبياً.

ونفس القول يأتى بالنسبة إلى الاستشفاء من أولياء الله، فإن البعض ينكرون ذلك ويقولون: إن طلب الشفاء خاص بالله سبحانه بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (الشعراء: ٨٠)، فكيف يصح أن يقال: يا رسول الله اشفنى؟! وهكذا الأمر بالنسبة إلى كل عمل خارق للعادة.

والجواب: إن الذين يعتقدون هذا الاعتقاد لم

يميزوا- ومع الأسف- بين الأفعال الإلهية والأفعال البشرية، ولهذا يتصورن بأن أى فعل يخرج عن مجراه المادى الطبيعى فهو من أفعال الله، وأى فعل يأخذ مجراه المادى الطبيعى فهو من أفعال البشر.

إن هؤلاء لم يفهموا- أو تجاهلوا- المقياس المائز لأفعال الله عن غيرها، ولو كان كل فعل يخرج عن مجراه الطبيعى يعتبر من أفعال الله لكانت أفعال المرتاضين- فى الهند- أفعالا إلهية- وكانوا جميعاً آلهة.

وقد ذكرنا أكثر من مرة أن المقياس- فى الأفعال الإلهية- الاستقلال فى الفعل، وعدم الاعتماد على أية قدرة أخرى، والفعل البشرى هو عكس ذلك.

إن الإنسان يعتمد على الله ويستعين بقدرته فى كل عمل- سواء كان مادياً أو خارجاً عن حدود المادة- والكثيرون يحصلون على قدرات اكتسابية ويستغلونها للوصول إلى أهدافهم المنشودة، فهل أن طلب الفعل من هؤلاء شرك بالله؟!.

إن نقطة الانحراف عن التوحيد تكمن فى الاعتقاد

المقرون بالطلب، فإذا كان طلب الحاجة من أحد أولياء الله يعتقد باستقلال ذلك الولى فقد اعتبره مستغنياً بالذات، ومعنى ذلك أنه اعتبره مستغنياً عن الله، وهذا هو الشرك، لأنه لا مستغنى بالذات سوى الله الواحد الأحد سبحانه.

وقد كان كثير من المشركين- فى العهد الجاهلى وعند طلوع الإسلام- يعتقدون هذا الاعتقاد بالنسبة إلى الملائكة والنجوم وأن الله خلقها وفوض إليها إدارة الكون وتدبيره، تفويضاً مستقلاً تماماً أو- على الأقل- أنها تملك الشفاعة والمغفرة، وتتصرف كما تشاء حيث تشاء.

ولذلك عندما سأل عمرو بن لحى أهل الشام عن علة عبادتهم للأصنام؟ قالوا- فى جوابه-: إننا نطلب المطر من هذه الأصنام فتسقينا، ونستعين بها فتعيننا، وبهذا الاعتقاد اصطحب عمرو معه هبل وجاء إلى مكة (راجع سيرة ابن هشام: ج١ ص٧٧).

D:\كتب\الوهابية\٢٦doc.

وفى الختام ابن تيمية يكذب الوهابية:

نقول للوهابية: إذا لم يعجبكم ما ذكرناه من أدلة دامغة فى كتاب الله تعالى على جواز القدرة الغيبية للصالحين بإذن الله، فإننا سوف نقدم لكم الدليل الذى لا يرد عندكم، وهو قول شيخكم ابن تيمية فى كتاب (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان). والذى أثبت فيه القدرة الغيبية للصالحين بإذن الله تعالى، فقال ما نصه: (وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول ﷺ).

وبعد أن عدد المعجزات لسيدنا ومولانا محمد ﷺ قال: (ومثل هذا كثير فقد جمعت نحو ألف معجزة، وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم، وسائر الصالحين، كثيرة جدا).

ثم أخذ يسرد الكثير من هذه الكرامات التى تثبت القدرة الغيبية للصالحين، نختار من بينها ما يلى:

أولاً: أن خبيب بن عدى كان أسيراً عند المشركين فى مكة، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنب.

ثانياً: سفينة مولى رسول الله ﷺ، أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده.

ثالثاً: البراء بن مالك، كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه، وكان الحرب إذا اشتد على المسلمين فى الجهاد يقولون: يا براء.. أقسم على ربك، فيقول: يا رب أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم فيهزم العدو.. فلما كان يوم القادسية قال: أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وجعلتنى أول شهيد، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

رابعاً: خالد بن الوليد، حاصر حصناً منيعاً، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره.

خامساً: عمر بن الخطاب، لما أرسل جيشاً أمَّر عليه رجلاً يسمى سارية، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر: يا سارية.. الجبل، فقدم رسول الجيش فسأله، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح: يا سارية.. الجبل، يا سارية.. الجبل، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله.

وبعد أن عدَّد ابن تيمية من كرامات الصحابة، بدأ فى سرد كرامات الأولياء، التى تثبت القدرة الغيبية لهم، نختار من بينها ما يلى:

أولاً: تغيب الحسن البصرى عن الحجاج، فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله عز وجل فلم يروه، ودعا على أحد الخوارج كان يؤذيهم فخر ميتاً.

ثانياً: صلة بن أشيم مات فرسه وهو فى الغزو، فقال: اللهم لا تجعل لمخلوق علىَّ منة، ودعا الله عز وجل فأحيا له فرسه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بنى خذ سرج الفرس فإنه عارية، وأخذ سرجه فمات الفرس. (والإحياء والإماتة فى معتقد الوهابية من أفعال الله تعالى، ولكن شيخهم ابن تيمية يثبت ذلك لصلة بن أشيم، وهم بين أمرين: إما أن يصدقوا شيخهم ويتبرأوا من معتقدهم، وإما أن يتهموه بالجهل وسوء الاعتقاد).

ثالثاً: كان إبراهيم التيمى يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه، فمر بسهلة حمراء، فأخذ منها، ثم رجع إلى أهله،

ففتحها، فإذا هى حنطة حمراء، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً.

رابعاً: كان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء، فكان وقت الوضوء تطلق له أعضاؤه ثم تعود بعده.

ثم ختم ابن تيمية كلامه بقوله: (وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء فى غير هذا الموضع، وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه فى هذا الزمان فكثير، ومما ينبغى أن يعرف أن كرامات الأولياء قد تكون بحسب حاجة الرجل، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج، أتاه منها ما يقوى إيمانه، ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنياً عن ذلك، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها، لا لنقص ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة، بخلاف من يجرى على يديه الخوارق لهدى الخلق، ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة).

فيا أبواق الوهابية: ها هو شيخكم ابن تيمية، يقر

بالقدرة الغيبية لسيدنا رسول الله ﷺ ولأصحابه، وللأولياء والصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، وقد ضرب لذلك الكثير من الأمثلة الصحيحة، فهل يصح لكم بعد هذا القول أن تقولوا بإنكار الكرامة والقدرة الغيبية للصالحين.. أم أن شيخكم ابن تيمية كان كافراً مشركاً ؟!!.

* * *

وبهذا نكون قد انتهينا من الشبهات العشرة التى تتخذها الوهابية ذريعة لاتهام المسلمين بالشرك والوثنية، وتسميهم بالقبوريين.. والحمد لله رب العالمين.